الباب الأول

مقدمات وأساسيات حول التربية

- أهمية التربية وثوابها .
- مصدر ومواصفات المنهج الإسلامي في التربية .
- اليتيم في الإسلام .
- صفات المربي الناجح .
- حقوق الطفل في الإسلام .
- العلاقات الزوجية وتربية الأولاد .

obeikandl.com

obeikandl.com

أهمية التربية وثوابها

المال والبنون زينة الحياة الدنيا :

أولادنا أهم شيء في حياتنا ، هم هبة الله لنا ، هم نور عيوننا ، هم فرحة قلوبنا ، هم الذكرى الممتدة لنا بعد الموت ، هم بهجة الحياة ، نصنع المستحيل ليسعدوا في حياتهم وليعيشوا في راحة وهناء ، نسعد لسعادتهم ، ونحزن لحزنهم ، وينفطر القلب إذا حدث لهم أي مكروه ، هم جزء من حياتنا وامتداد لنا .

أطفالنا نربيهم وهم صغار فنجدهم سنداً لنا عند الكبر ، هم باب من أبواب رفع الدرجات عند الله .

أولادنا عز لنا كما يقول المصطفى ﷺ : «**ما وُلِدَ في أهل بيتٍ غُلامٌ إلا أصبح فيها عِزٌّ**»[1] . وهنا كلمة « غلام » يقصد بها الأولاد ، سواء أولاد أم بنات .

وحب الأبناء غريزة أودعها الله في نفس الإنسان ، وفي القرآن الكريم آيات عديدة تبين لهفة الأنبياء ـ نوح وإبراهيم ويعقوب وزكريا ـ على الأبناء :

منها : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (الصافات: ١٠٠) .

ومنها : ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ (الأنبياء: ٨٩) .

ومنها : ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (الفرقان: ٧٤) .

---

(١) خرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٧/ ٢٤٤) حديث (٧٣٩٥)، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٦/ ٤٠٨) حديث (٨٦٩٣) وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٨/١٥٥) : « رواه الطبراني في الأوسط وفيه هاشم بن صالح ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه ولم يوثقه وبقية رجاله وثقوا » ، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

ومنها : ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾ (مريم:٥) .

ومنها : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾(آل عمران:٣٨).

ولكن إذا تأمّلنا نجد أن دعاءهم ليس محصورًا في الذريَّة المجُردة ، ولكن في الذرية الصالحة الموصولة بالله .

إذن ليس الهدف من طلب الذريّة هو إشباع الغريزة والفطرة فقط ـ الأمومة والأبوة ـ إنما هو الصلاح الذي يُسعد الولد والآباء في الدنيا والآخرة .

كما نلاحظ أيضًا في الآيات القرآنية أنَّ اللفظ المستخدم في طلب الذرية هو : « الهبة » ، والهبة تأتي بمعنى الهدية ، والعطية ، والأمانة . فعلينا أن نحمد الله على هذه الهدية ، ونحفظ العطية ، ونصون الأمانة بحسن تربيتنا لأولادنا .

● أطفالنا هم الأمل والمستقبل لأمتنا الإسلامية :

كل واحد ينظر ما حلَّ بغالب أمَّتنا الإسلامية من ضعف وهوان وفُرقة وفتن واستضعاف فيجد نفسه ضعيفًا وقليل الحيلة ، ويتساءل ماذا أستطيع أن أقدم للإسلام؟ كيف أمنع هذه القوى المخيفة التي تتحرك للقضاء على الإسلام؟

ولكن إذا تأملنا جيدًا فسنجد أنفسنا قادرين على أن نقوم بعمل رائع للإسلام ؛ وذلك بإعداد أولادنا الإعداد الصحيح ، فنقدم للأمة الإسلامية الجيل القادر على تحمل المسئولية ومواجهة التحديات وإحراز النصر وتقدم الأمة .

● أصعب مهمة وأشرف مهمة :

ولعل أحدنا يقول : إنَّ تربية الأولاد إسلاميًّا أمر صعب جدًّا في هذا الزمن ، وهناك فتن كثيرة وعقبات كثيرة جدًّا كالتي وصفها النبيُّ ﷺ : « **يأتي على الناسِ زمانٌ الصَّابرُ فيهم على دينه كالقابض على الجَمْرِ** »[1] ، فلا شك أنَّ المهمة

---

(١) أخرجه الترمذي في « سننه » كتاب الفتن ، باب ما جاء في النهي عن سب الرياح ، حديث (٢٢٦٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وقال الترمذي : « هذا حديث غريب من هذا الوجه » .

صعبة ولكن ما من عمل أنفع ولا أعظم ولا أدوم في حياة المؤمن من أن يربي أولاده التربية الإسلامية السوية ؛ فيسعد بهم ويسعدهم في الدنيا والآخرة .

فالأولاد يحتاجون إلى وقت وجهد وصبر ومراقبة وتوجيه ووعظ وصُحبة ، ولكن حين نرى أولادنا كما نتمنى دينًا وصلاحًا وخلقًا واستقامة وتفوقًا وبرًا بنا نشعر بسعادة لا تعادلها سعادة ، ولو أعطينا ملء الدنيا ذهبًا وفضةً .

● الأولاد الصالحون أجر مستمر :

ليس في الدنيا من عمل صالح يتقرّب به العبد لربه ﷻ أفضل من أولاد يغذيهم من حلال ويربيهم تربية مبنيَّة على الدين والعلم وحب الله ورسوله وحب المؤمنين .

فإذا أحسنا تربيتهم أثابنا الله عليهم خيرًا في الدنيا ، وكان لنا الأجر المستمر بعد الممات :

- **« إذا ماتَ ابنُ آدم انقطعَ عملُه إلا من ثلاثٍ : صدقةٍ جاريةٍ ، أو علمٍ يُنتفعُ به ، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له »**[1].

بشرى عظيمة ، فأولادنا صدقة جارية لنا لا تنقطع إلى يوم القيامة ـ بشرط الصلاح .

- **« مَنْ دلَّ على خيرٍ فله مثلُ أجرِ فاعِلِه »**[2].

فإذا أحسَن أولادنا تربيةَ أولادهم كان لنا مثل أجورهم ، وهكذا يُقال في سائر الذرية ـ أولادهم وأولاد أولادهم . . . ـ فالمؤمن قدوة حسنة لأبنائه ولكل من

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الأحكام باب في الوقف حديث (١٣٧٦) ، والنسائي في سننه كتاب الوصايا باب فضل الصدقة عن الميت حديث (٣٦٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره حديث (١٨٩٣) من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه .

خالطه ، ولكن الذي يُعلِّم ـ من ناحية أخرى ـ أبناءه الكذب والنفاق وغيرها من مساوئ الأخلاق فعليه وزر من اقتدى به .

والدعاء القرآني : ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (الإسراء:٢٤).

نجد فيه أن طلب الرحمة والمغفرة لهما بسبب تأديبهما وتربيتهما لأبنائهما .

روى أبو الدرداء رضي الله عنه ، عنه ﷺ أنه قال : « **لا تُؤخَّرُ نفسٌ إذا جاء أجلُها ، وإنَّما هي زيادةُ العُمُر ، الذُّرية الصالحةُ يرزقُها اللهُ العبدَ فتدعو له مِنْ بعده ، فيَلْحقُه دعاؤُهم في قبره ، فذلك زيادةٌ في العمر** »[1].

● **صلاح الآباء ينفع الأبناء :**

ولا ينسَ الآباء أن صلاحهم ينفع الأبناء ؛ فهما القدوة الحسنة والمؤثر الفعّال فيهم . يقول الله عز وجل : ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (النساء:٩).

هذه هي وثيقة التأمين الربانية . . . يامن خفت على أولادك أن تموت وتتركهم صغارا ضعافا من بعدك ها هي الوثيقة : (اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً) الله يتولاهم ويحفظهم . يدعونا الله لنؤمن على أولادنا عنده ، عند من يملك ومن يقدر ، الفعّال لما يريد .

وقد أشار القرآن الكريم إلى حفظ الله للأبناء ـ بل والأحفاد ـ بصلاح والديهم وأجدادهم بقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ (الكهف:٨٢) .

روى ابن كثير أنه كان الجد السابع ؛ ولذلك كان عبد الله بن مسعود يصلي من الليل وابنه الصغير نائم ، فينظر إليه قائلا : « من أجلك يا بني » ، ويبكي وهو يتلو قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا ﴾ (الكهف : ٨٢) .

---

(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٣/ ٣٤٣) حديث (٣٣٤٩) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه .

فلنكثر إذن من عبادتنا ودعائنا إلى الله ﷻ بصلاح الذرية .

ولإتمام النعمة والسعادة على الآباء المؤمنين يوم القيامة يلحق الله ذريتهم بهم في درجاتهم ، فقد قال ﷺ : « **إن اللهَ ليرفعُ ذريةَ المؤمن إليه في درجتِه ، وإن كانوا دُونَه في العمل لِتَقَرَّ بهم عينُه** » ، ثم قرأ : ﴿ **وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ** ﴾ (الطور: ٢١) ، ثم قال : « **وما نَقصْنَا الآباءَ بما أعطينا البنينَ** »[1] .

وقد نلاحظ خروجًا عن هذه القاعدة ؛ لحكمة لا يعلمها إلا الله سبحانه ، كأن يكون الأب صالحًا والابن غير ذلك ، مثل سيدنا نوح ، ولعل الحكمة من ذلك أن تبقى القلوب دائمًا حذرة يقظة تتضرع إليه سبحانه بطلب الولد الصالح .

فالهداية أولاً وأخيرًا منه سبحانه وتعالى ، وإن كان علينا أن نأخذ بأسباب التربية السليمة حتى نبرئ ذمَّتنا أمام الله مع دوام اللجوء إليه .

● **تكليف من الله ورسوله :**

الإسلام حَمَّل الآباء والأمهات مسئولية كبرى في تربية الأبناء وإعدادهم الإعداد الصحيح لتحمل أعباء الحياة ، وتوعَّدهم بالعذاب الأكبر إذا هم فرَّطوا وقصَّروا وخانوا الأمانة .

أولاً : النصوص القرآنية :

﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ (التحريم: ٦).

لم يأمرك الله ﷻ أن تقي نفسك فقط ، بل أمر الله أن تقي نفسك وأهلك ، فالآية واضحة .

﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا** ﴾ (طه : ١٣٢) .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٣٠٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١١٤) وقال : رواه البزار وفيه قيس بن الربيع ؛ وثقه شعبة والثوري وفيه ضعف .

كم من المؤمنين يصلي ، لكن لا يهتم بشأن أهله ، هل صلوا أو لم يصلوا؟ فكلما دخل وقت الصلاة تذكر هذه الآية ، أنت لست مكلفا أن تصلي وحدك ، أنت كمؤمن مكلّف أن تأمر أهلك بالصلاة وأن تصبر عليها . . . فالموضوع محتاج إلى مجاهدة وصبر وتحايل وثواب وعقاب ، فلو تخيلنا أننا مأمورون بتدريب الأولاد من سنّ السابعة إلى أن يبلغوا اثنتا أو خمسة عشرة سنة ؛ أي خمس أو سبع سنوات ، مضروبة في ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً ، مضروبة في خمس مرات في اليوم .

ولذلك جاء التعبير القرآني بلفظ : ﴿ وَٱصْطَبِرْ ﴾ ، أي : صبر فوق صبر ، ولكن يوم أن ترى ابنك أو ابنتك قد تعود على الصلاة وأصبحت جزءًا أساسيًا من حياته فسعادتك يومئذ ستنسيك كلّ التعب الذي تعبته من أجله .

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ﴾ (النساء : ١١) .

خالق الكون يوصيك بأولادك ، يوصيك أن تربيهم ، وأن تهذّبهم ، وأن تعلمهم ، أن ترعاهم ، أن تراقبهم ، أن تأخذ بيدهم إلى الله ﷻ .

﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ (الصافات : ٢٤) .

سيسأل كل إنسان يوم القيامة عما استرعاه الله ، أحفظه أو ضيّعه؟ فلنستعد كلنا لهذه الوقفة .

ثانيًا : النصوص النبوية :

والرجلُ راعٍ في أهله ومسئولٌ عن رعيَّته ، والمرأةُ راعيةٌ في بيتِ زوجها ومسئولةٌ عن رعيتِها (١) .

على كل من المربين أن يتحمّلوا مسئولية التربية ، ومسئولية الأم تعتبر أهم وأخطر من مسئولية الأب ؛ باعتبار أنها ملازمة لولدها منذ الولادة إلى أن يكبر ويبلغ . فإذا قصّرت الأم في تربية أولادها عرف الطفل الفساد والضياع ، وبالتالي تفسد الأمة كلها .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوصايا باب تأويل قول الله تعالى : ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا ﴾ حديث (٢٧٥١) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

- وقال ﷺ : « **مَنْ كان له ولد فَلْيَتَصَابَّ له** »[1].

لابد من تمضية جزء كبير من أوقاتنا معهم ؛ لملاطفتهم ، والكلام معهم ، والتحبب إليهم .

- « **لأن يؤدِّبَ الرجلُ ولدَه خيرٌ من أن يتصدَّقَ بصاعٍ** »[2].

تربيتك لولدك أعظم من الصدقة اليومية .

- وقد قال أيضًا ﷺ : « **ما نَحَلَ والدٌ مِنْ نُحْلٍ أفضلَ من أدبٍ حَسَنٍ** »[3].

أعظم هدية وعطاء تقدِّمه لولدك أن تؤدبه وتعوده الخير ، كما قال سيدنا علي رضي الله عنه : « عَوِّدُوا أولادكُمُ الخيرَ فإن الخيرَ عادةٌ » .

ويجب علينا أن نؤدب أولادنا على خصال ثلاث ، كما وصَّانا نبينا محمَّد ﷺ : « **أدِّبوا أولادكم على ثلاثِ خِصال : حبِّ نبيِّكم ، وحبِّ آل بيته ، وتلاوةِ القرآنِ** »[4].

فيجب منذ الصغر ربطهم بسيرة رسول الله ﷺ وصحابته الكرام وتلاوة القرآن ، وربطهم بالمسجد من خلال الدروس والصلوات ، وكلما كانوا أصغر كانت الاستجابة أكبر .

* * *

---

(١) أخرجه المتقي الهندي في « كنز العمال » (١٦/١٩٠) حديث (٤٥٤١٣) عن معاوية رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الترمذي في « سننه » كتاب « البر والصلة » باب « ما جاء في أدب الولد » حديث (١٩٥١) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه . وقال الترمذي : « هذا حديث غريب » .

(٣) أخرجه أحمد في « المسند » (٣/ ٤١٢) حديث (١٥٤٣٩) ، والترمذي في سننه كتاب « البر والصلة » باب « ما جاء في أدب الولد » حديث (١٩٥٢) من حديث أيوب ابن موسى ، عن أبيه ، عن جَدِّه . وقال الترمذي : « هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عامر بن أبي عامر الخزاز ، وهو عامر بن صالح بن رستم الخزاز ، وأيوب ابن موسى هو ابن عمرو بن سعيد بن العاص ، وهذا عندي حديث مرسل » .

(٤) متفق عليه : أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٨٣) حديث (٥٨١٩) ، ومسلم (٤/ ٢٠٣٢) حديث (٢٦٣٩) .

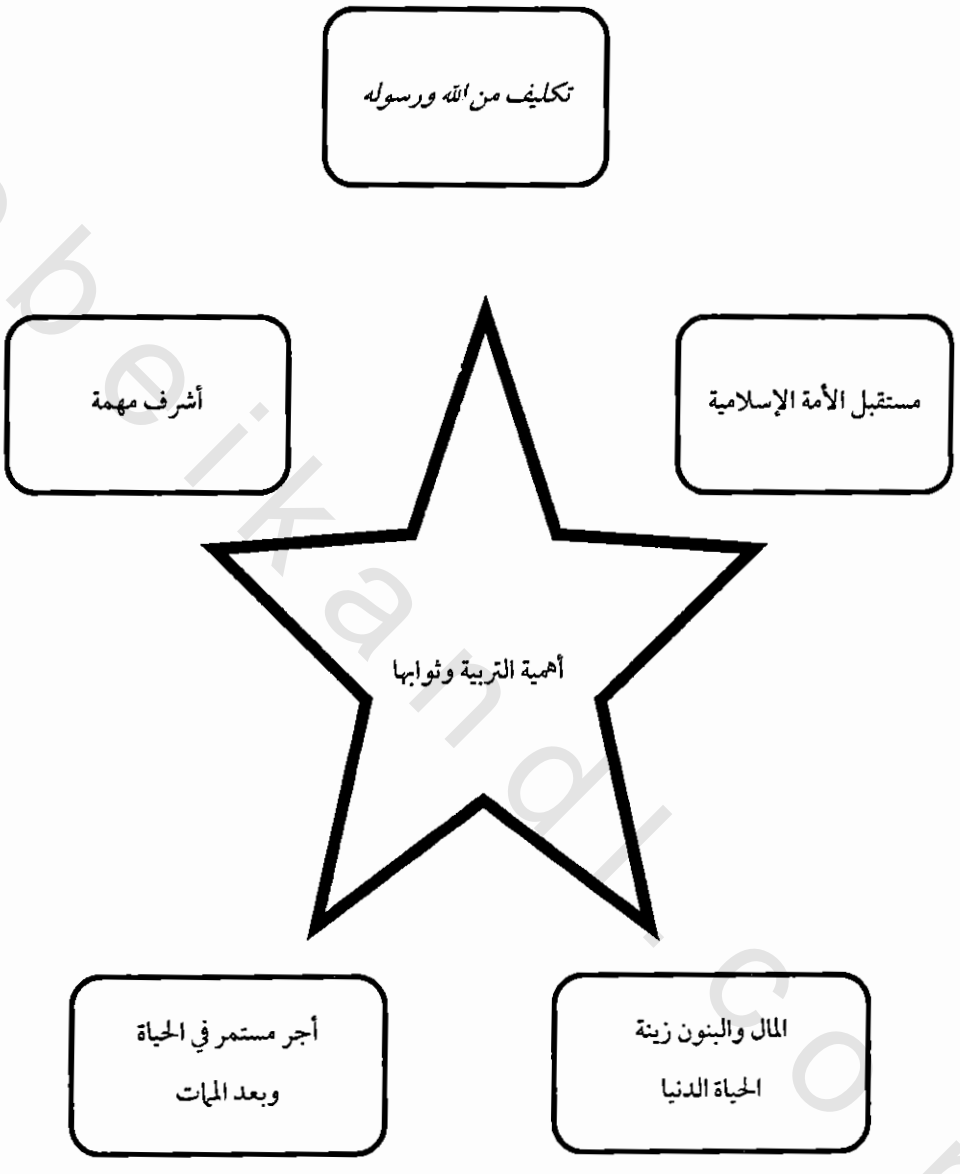

obeikandl.com

مصدر ومواصفات المنهج الإسلامي في التربية

● **وضوح الهدف :**

بعدما استعرضنا أهميّة الأمانة وخطورة المسئولية التي كلفنا الله بها تجاه أولادنا ، يتبين لنا أن التربية ليست مجرد حب نمنحه لأبنائنا ، أو إطعامهم أحسن طعام أو إلباسهم أفضل لباس ، أو تعليمهم أحسن وأرقى تعليم ، أو أن نلبي لهم ما يتمنوه ، فهذا كله لا يكفي ، فهذه ليست التربية الحقيقية .

إنما الهدف هو تربية أولادنا تربية إسلامية صحيحة تكون ثمرتها إنسانًا متوازنًا سويًا يُرضي ربَّه ويرفع من شأن أمّته ، ويسعد هو ويسعدنا في الدنيا والآخرة .

بيد أن الهدف واضح والوسيلة تبدو غير واضحة .

● **كيف نصل إلى الهدف ؟**

بالرغم مما ذكرنا من خطورة عمل المربين ، وبالرغم من وضوح الهدف من التربية عند بعض المربين ، إلا أن الغالبية لم يتلق شيئًا من التعليم والإعداد والتدريب لهذه المهمة العظيمة ، بل يعيش مع الأبناء ويتعامل معهم بما يرشده إليه الأقرباء والأصدقاء والجيران ، وبما علق في ذاكرته عن تعامل والديه معه في طفولته ، ولعل هذا هو الخطأ الأكثر شيوعًا بيننا ، وهو ما يمكن أن نسميه بعشوائية التربية ، والقيام بها على سياسة رد الفعل التي يتحكم في معظمها المشاعر والأمزجة التي تختلف من وقت لآخر ، فتتناقض التربية من موقف إلى آخر تبعا لشعور المربي دون تخطيط مسبق منه أو تدريب كاف لأداء مقبول .

وكأن التربية هي أبسط من أن نتعلم ونتدرب لها ، فكل أم تعتز جدًا بأسلوب تربيتها العشوائي ، وتتصور أنه ليس في الإمكان أحسن مما كان .

فنقطة البداية هي الرجوع إلى منهج التربية الإسلامية ، والإحساس بحاجتنا لأن نتعلمه .

وللأسف كل ما نراه من عيوب وعلل في مجتمعاتنا ، والسلبيات والأخلاق المتدنية ما هي إلا نتيجة التربية العشوائية .

● **مصدر منهج التربية الإسلامية :**

لقد قام علماؤنا الأفاضل باستنباط منهج التربية الإسلامية . . . من القرآن والسنة ليقدموا لنا قانونًا تربويًا صالحًا لكل زمان ومكان . ذلك أن مصدر هذين الوحيين هو خالق الإنسان والعالم به : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (الملك:١٤) .

واتّباع هذا المنهج يوفّر علينا البحوث والدراسات لتجريب النظريات المحتملة للصواب والخطأ : ﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ (البقرة:١٤٠)؟!

● **مواصفات المنهج الإسلامي في التربية :**

١- منهج شامل لجميع الأعمار منذ الولادة إلى التمييز إلى المراهقة إلى سن التكليف والشباب .

٢- منهج متوازن يهتم بجميع جوانب الشخصية المختلفة : الإيمانية (عقيدة ، وعبادات وأخلاق) ، والاجتماعية ، والجسمية والصحية ، والعلمية والعقلية ، والنفسية والجنسية .

٣- منهج يهتم أيضًا بالوسائل التربوية الناجحة : بالقدوة ، بالعادة ، بالموعظة ، بالأحداث والمواقف ، بالقصة ، بالثواب وبالعقاب .

فليعلم كل أب وأم ومُربٍ ومعلم يسعى للتربية الإسلامية الصحيحة أنه من خلال هذا العمل التربوي إنما يؤدي جزءًا من واجبه تجاه الإسلام .

وذلك من خلال الاستعانة بالله مع الأخذ بأسباب النجاح ؛ وذلك بالتزود بثقافة إسلامية تربوية تساعدنا على حسن التربية والتغلب على صعابها ومواجهة تحدياتها ، وهو ما سنقوم به إن شاء الله من خلال هذه الدراسة .

والسر في النجاح هو أن نربي بحب وباستمتاع وليس فقط كأداء للواجب ، فتربية النفس ووصلها بالله إنما هي مهمة الرسل والأنبياء ، فلنقتدي بهم ولنتوكل على الله .

* * *

اليتيم في الإسلام

● **كفالة اليتيم :**

اليتيم شرعا هو الصغير الذى مات أبوه قبل سن البلوغ .

نرى في مجتمعنا أطفالاً فقدوا آباءهم وأمَّهاتهم ، وأصبحوا في حاجة ماسَّة إلى من يَكْفُلُهم ويرعى شئونهم ، فكان لا بد من إيوائهم والقيام على شئونهم .

وقد رغَّب الإسلامُ القادرين من أهل البرِّ والصلاح والتُّقى في كفالتهم والإحسان إليهم والعطف عليهم وتوفير الرَّاحة لهم وتعليمهم والعمل على إعدادهم جسميًّا ونفسيًّا وعقليًّا وإيمانيًّا ؛ حتى يصيروا رجالاً صالحين .

وقد جعل الله كفالة اليتيم مسئولية المجتمع المسلم كله فهو فرض كفاية ، إذا قام به البعض سقط الإثم عن الآخرين وصلح أمر المجتمع ، وإذا لم يقم به أحد ـ مما أدى إلى إهمال أو ضياع اليتامى ـ أَثِمَ المجتمع كله وخسر خسارة فادحة في الدنيا والآخرة .

قال تعالى : ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ (النساء:٣٦) .

وقد تكرر معنى الإحسان إلى اليتيم وإمداده بالعطف والرعاية اللازمة للتخفيف عنه في أكثر من موضع . والوصية باليتيم مقصودة لذاتها سواء كان اليتيم فقيرا أو غنيا ، لكونه مفتقدا لنبع الحنان والعاطفة الفطرية للأب أو للأب والأم معا .

قال تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة:٢٢٠) .

ومخالطة اليتامى في مطعمهم ومشربهم برًّا بهم ، وإحسانًا إليهم ، ولتعليمهم اداب المأكل والمشرب والملبس والنوم وغيرها عمليًا ، لا شكَّ أنَّ من يفعل ذلك أجره عظيم عند الله تعالى .

والله ﷻ يُجازي الكافل أو القائم بتربية اليتيم بنيَّته في عمله ، فهو جلَّ شأنُه يعلم المُفسد فيجزيه بعمله ما يستحق من الجزاء ، ويعلم المصلح فيجزيه بعمله أحسن الجزاء .

وكفى بكافل اليتيم شرفًا أن يكون رفيقًا للحبيب ﷺ في الجنَّة ، كما قال ﷺ : « **أنا وكافِلُ اليتيم كَهَاتينِ في الجنة** »[1] . وأشار بالسبابة والوسطى وفرَّجَ بينهما شيئا .

ومن عوامل النَّجاح في تربية اليتيم ، أن يربِّيَه كافله ويعامله كواحدٍ من أبنائه ، وألا يُشعره بيُتمه أو يعيره بوضعه الذي هو اختيار وقدر من الله تعالى أولاً ، بل يراقبه ويلاحظه ويؤدِّبه كما يؤدِّب أولاده ، وعليه أن يأمر كلَّ مَن يحيطون بالبتيم بمراعاة عواطفه ومشاعره على النَّحو الذي يحفظ له كرامته وينسيه قسوة اليُتم وشدَّة ما يلاقيه من ألم وحرمان .

ولو كان اليُتم نقصًا أو شرًّا محضًا ما اختاره الله تعالى قَدَرًا لسيِّد الأنبياء والمرسلين ، فلا شكَّ أنه وإن كان فيما يبدو لنا ليس خيرًا ، لكنَّه كان في حقِّه ﷺ كمالاً ؛ لأن الله تعالى هو الذي قام على تعليمه وتأديبه ورعايته ﷺ .

وقد أمر الله النبيَّ ﷺ بالإحسان إلى اليتيم والعمل على راحته وتبديد مخاوفه ومتاعبه ـ كما مرَّ في الحديث ـ وكذلك يقول الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ (الضحى:٩) .

والقهر هو الإساءة إليه بالضرب ، أو الزَّجر ، أو التجويع ، أو الإهانة ، أو جرح مشاعره ، وتكليفه بما لا طاقة له عليه ، وغير ذلك من سوء المعاملة .

وقد جعل الله زجر اليتيم علامة من علامات التكذيب بالدين ، فقال ﷻ : ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ (الماعون:١ - ٣).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب . فضل من يعول يتيما ، حديث (٦٠٠٥) من حديث سهل بن سعد ﷺ .

قال تعالى : ﴿ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ (الفجر:١٧-٢٠) ذم القرآن المجتمع الجاهلي لأنهم لا يحتوون الضعفاء ، بل يتركونهم للضياع ، ولا يكرمون اليتيم بل يهينونه ، ولا يتواصون بإطعام المسكين ، ومعنى إطعامه وإكرامه ليس فقط أكل وشرب ، ولكن هو رعاية كل احتياجاته وضرورياته ومطالبه النفسية والجسمانية والعقلية والاجتماعية .

● **ثواب كافل اليتيم :**

قد كان ﷺ يبالغ في برِّ اليتيم وإكرامه والعطف عليه ، ويُرغِّب أصحابه في ذلك ترغيبًا عظيمًا ؛ فعن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن أَحَبَّ البُيوتِ إلى الله بَيْتٌ فيه يَتِيمٌ مُكْرَمٌ** »(١) .

وعن أبي هُرَيْرَةَ ، عن النبيِّ ﷺ قال : « **خَيْرُ بَيْتٍ في الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فيه يَتِيمٌ يُحْسَنُ إليه ، وَشَرُّ بَيْتٍ في الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فيه يَتِيمٌ يُسَاءُ إليه** »(٢) .

وعن سلمان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله وقد أتاه رجل يشكو قسوةَ قلبه ، فقال له رسول الله ﷺ : « **أتحبُّ أن يَلِينَ قلبُك وتُدرِكَ حاجتك؟ ارْحمِ اليتيمَ وأطعِمْه من طعامك يَلِنْ قلبُك وتدركْ حاجتَك** »(٣) .

وكأن العطف على اليتيم والحنان واللين له يؤثِّر على القلب ويكون سببًا لقضاء الحاجة ؛ لأنه عمل يرضي الله ورسولَه .

فاليتيم في شدة الاحتياج لهذا العطف والحب والاهتمام ؛ لأنه فَقَدَ نبع الحنان والرعاية والولاية ، فهو مكسور وضعيف .

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣٨٨/١٢)، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٧/ ٤٧٢)، وذكره المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣/ ٧٢) .

(٢) أخرجه ابن ماجه في « سننه » في كتاب « الأدب » ، باب « حق اليتيم » حديث (٣٦٧٩) ، وقال العراقي في « تخريج أحاديث الإحياء » (١/ ٥١٤) : « فيه ضعف » .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٩٧/١١) . وذكره أبو نعيم في الحلية (١/ ٢١٤) ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٦/ ١٦٠) : « رواه الطبراني وفي إسناده من لم يسم وبقيَّة مدلس » .

وروى الإمام أحمد في «مسنده» عن أبي أمامة، عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ مسحَ رأسَ يتيمٍ أو يَتِيمَةٍ لم يمسحه إلا لله كان له بكلِّ شَعْرَةٍ مَرَّتْ عليها يَدُه حسناتٌ، وَمَنْ أَحْسَنَ إلى يَتِيمَةٍ أو يَتِيمٍ عنده كنتُ أنا وهو في الجنة كهاتيْنِ**»، وقَرَنَ بين إصبعيه[1].

وقد يَفهم البعضُ من هذا الحديثِ المعنى الحرفي له، بمَعنى أنَّ المطلوبَ هو مجرَّد مسح شعر اليَتيم طمعا في الرصيد الكبير من الحسنات، ولا شكَّ أنَّه ﷺ قصَد بكلمة «المسح على الرأس» كلَّ أنواعِ الرَّحمة والرِّعاية والاهتمامِ والتَّعليم والتَّرفيه وإدخالِ السَّعادة الحقيقيَّة إلى القلوبِ، وبذل الوَقت والجهد والصَّبر عليهم.

وينبغي أن يُعلَّم اليتيم كيف يكون قلبه متعلقًا بالله تعالى؛ لأن الله تعالى هو الرَّاعي والكافل الحقيقي لكلِّ دابَّة على الأرض، وإن كان اليتيمُ قد حُرم في الدنيا من قول: يا أبي أريد طعامًا أو شرابا أو ملبسًا ونحو ذلك، لكنه لم يُحرم أبدًا من قول: يا رب يا رب.

فالله تعالى هو كافله وراعيه على وجه الحقيقة، أمَّا كافله الدنيوي البشري فهو سبب وجندي من جنود الله تعالى.

ومن جهة أخرى ينبغي علينا أن ندعو لليتامى أن يلهمهم الله الصبر ويمنحهم القوَّة ويرقق قلوب الناس عليهم؛ حتى يكبروا ويصيروا رجالاً ينتفع بهم الوطن ويسعد بهم المجتمع.

ومن المفيد أن نروى لهم سير أيتام عظماء غيروا مجرى التاريخ، وعلى رأسهم سيد الأيتام رسولنا سيدنا محمد ﷺ والإمام الشافعي، والإمام البخاري، والإمام أحمد بن حنبل، والإمام الغزالي، وحافظ إبراهيم وعبد الرزاق السنهوري ونيلسون مانديلا وليوناردو دافتش وغيرهم.

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٦٥) حديث (٢٢٣٣٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ٢٠٢) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

● **المربية والراعية لليتيم في مكانة الأم :**

المربية والمرضعة والمتولية لأمر اليتيم ورعايته وإن لم تكن أُمًّا مُنْجبة إلا أنها في مكانة الأم ؛ نرى ذلك في إكرام النبي ﷺ لمرضعته حين بسط لها رداءه فجلست عليه وأكرمها .

وكانت امرأة فرعون أُمًّا لموسى عليه السلام ؛ لأنها ربَّته وأكرمته ورعته ، وهي من خير نساء العالمين .

فالأم ليست هي فقط التي حملت وولدت وأرضعت ؛ بل إنها فطرةٌ في النساء ، حتى الَّتي لم تنجب فهي تمارس هذه الأمومة مع من حولها من المحيطين بها من أسرتها وفي مجتمعها ومع زوجها وأخواتها ، حتى مع والديها عندما يبلغ أحدهما الكبر أو كلاهما فيكونا في أشد الحاجة لهذه الأمومة والحنان والرحمة .

والحنان هو نعمة من الله وقَبَس من رحمته سبحانه ، خلقه في الإنسان وخصَّ المرأة وأنعم عليها بالقدر الأكبر ؛ لتقوم بدورها الأساسي الذي خُلقت له ، وهو الأمومة بمعناها الخاص والعام .

فالحنان والرحمة والرِّقَّة يحتاجها الطفل كأساس لتربيته في صغره ، وهذه الطاقة الكبيرة من الرحمة والحنان تحتاج معها إلى وعي وثقافة وعلم وتدريب ؛ لتؤدي هدفها في مرحلة الطفولة ، التي هي الأساس في بناء الإنسان الصالح السوي ، فتغرس فيه الأم الواعية الفضائل وحسن الخلق .

وقد علمنا الله سبحانه وتعالى ما ندعو به لآبائنا ، فمن الدعاء القرآني : ﴿ رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ (الإسراء: ٢٤) .

فنجد أن الآية الكريمة قد ربطت بين طلب الرحمة والمغفرة لهما ، وما قاما به من تربية ورعاية وعناية لأطفالهما ؛ ولذلك فكلُّ امرأة تقوم بتربية وتولي أمور يتيم هي بمثابة أمه الحقيقية التي أمرنا الله أن ندعوَ لها بالرحمة وجعل الجنة تحت أقدامها .

* * *

صفات المربي الناجح

قبل أن نستعرض صفات المربي الأساسية التي تؤهّله للنجاح ، علينا أن ننطلق أولاً من قاعدة تربوية أساسية ، وهي : «**أن فاقد الشيء لا يعطيه**» ، فلا نتصور أن يكون الابن أو التلميذ على خلق ما لم يكن هذا الخلق موجودًا في الأب أو الأم أو المعلم أو كل من يقوم بالتربية ؛ ولذلك فالقائم بالتربية يحتاج إلى صفات أساسيَّة تؤهّله للنجاح في مهمّته .

أول هذه الصفات وأهمها :

١ - الإخلاص :

وهو توجيه نية العامل لمرضاة الله ، مع بذل الجهد والأخذ بأسباب وأساليب النجاح ، فحين تخلص الأم في تربية طفلها فإنَّ الله سبحانه وتعالى يلهمها الأساليب الفعالة المؤثرة ؛ ولذلك يجب دائمًا أن نعتقد الأم أنها ضعيفة وفقيرة إلى الله ، فتتوجه إليه وتستعين به سبحانه ، فيلهمها الرشد والصواب ، وفي المثل : « إذا صدق منك العزم هديت إلى الحيل » .

وبإخلاصك لله وإتقانك لعملك يمدك الله بطاقات كبيرة جدًّا أنت في الأساس لا تملكها ، ولكنّ الله زودك بها إكراما منه سبحانه وتعالى لصدق نيتك .

فالطبيب إذا أخلص يلهم تشخيص الداء الصحيح ثم يلهم وصف الدواء .

والمحامي إذا أخلص ألهم المرافعة الجبدة التي ترفع الظلم .

والمعلم أيضًا إذا أخلص ألهمه الله كيف يربي أولاده وأمدّه بالحكمة والتوفيق .

قال تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ (البينة: ٥) .

﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ (الكهف: ١١٠) .

وقال ﷺ : «إنَّما الأعمالُ بالنيَّات وإنَّما لكل امرئٍ ما نَوَى»[1] .

فعلى الأم أن تبتغي وجه الله في كل عمل تقوم به ، وهي ترضعه ، وهي تنظفه ، وهي تطعمه ، وهي تلاعبه ، وهي تعلمه مهارة معينة ، وهي تزرع فيه قيمة معينة ، وهي تُمَرِّضَه . . . وهكذا . فيبارك الله لها في هذا العمل ويخفف عنها ويوفقها .

٢- تقوى الله :

من أهم ما يجب أن يتصف المربي به صفة التقوى .

والتقوى كما عرفها العلماء :

- اتقاء عذاب الله بعمل صالح ، والخشية منه في السر والعلانية .
- طاعة الله بالالتزام بالأوامر والبعد عن النواهي .
- بذل الجهد لتحري الحلال واجتناب الحرام .

وقد سأل عمر بن الخطاب أبي بن كعب عن التقوى ، فقال له : «أما سلكت طريقًا ذا شوك؟ قال : بلى . قال : فما فعلت؟ قال : شمرت واجتهدت . قال : فذلك التقوى» .

شمرت أي : استعددت .

واجتهدت أي : مشيت بحرص حتى لا يدخل الشوك في قدمي .

الآيات القرآنية والأحاديث التي تدعو إلى تقوى الله :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

(آل عمران:١٠٢) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (الحشر:١٨) .

---

(١) متفق عليه : أخرجه البخاري في كتاب : بدء الوحي ، باب : بدء الوحي ، حديث (١) ، ومسلم في كتاب : الإمارة ، باب قوله ﷺ : «إنما الأعمال بالنيات» ، حديث (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ (الحج: ١) .

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ ﴾ (الطلاق: ٢، ٣).

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قيلَ يا رَسُولَ الله من أَكْرَمُ الناس ؟ قال : «أَتْقَاهُمْ»[1].

وعن أبي هريرة قال : سُئلَ النبيُّ ﷺ مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ ؟ قال : «تَقْوَى الله وحُسْنُ الْخُلُقِ»[2].

وعن أبي ذَرٍّ أنَّ النبيَّ ﷺ قال له : «اتَّقِ الله حَيْثُمَا كُنْتَ ، وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقِ الناسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[3].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (الأنفال: ٢٩) .

والفرقان نور يقذفه الله في قلب عبده المؤمن ، به يرى وبه يحكم ، وبه يفرِّق بين الحق والباطل ، ويسلك طريق الهدى من غير تردُّد ، فالحق أنَّ المربي إذ لم يكن متحققًا بالتقوى ، وملتزمًا في سلوكه ومعاملاته منهجَ الإسلام ، فلا شك أنَّ الولد سينشأ على الانحراف .

فالمربي هو القدوة الحية أمامه ، وفاقد الشيء لا يعطيه ، والتربية بالقدوة في أعلى درجات الأهمية ؛ فليبدأ بنفسه أولاً ، فإن لم يفعل فلن ينتفع أحد بعلمه ولا بنصحه .

٣- العلم :

من الأمور التي لا يختلف عليها اثنان أن المربي ينبغي أن يكون عالمًا بأصول التربية التي جاء بها الإسلام ، محيطًا بأمور الحلال والحرام وبمبادئ الأخلاق ،

---

(١) متفق عليه : أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى : واتخذ إبراهيم خليلا ، حديث (٣٣٥٣) .

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٢٤/٢) .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١٥٣/٥) .

فيربيهم على القرآن والسنة وهدي صحابة رسول الله ، أما إذا كان جاهلاً ـ وخاصة بالقواعد الأساسية في تربية الطفل ـ فإن الطفل لن يكون على المستوى المطلوب خلقيًا ونفسيًا واجتماعيًا .

والآيات والأحاديث التي تأمر وتحثُّ على العلم أكثر من أن نحصيها :

قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (الزمر:٩) .

وقال تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (طه:١١٤) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : «**طلبُ العلم فريضةٌ على كلِّ مسلم**»[١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**مَنْ سلك طريقًا يلتمسُ فيه علمًا سَهَّلَ الله له طريقًا إلى الجنةِ**»[٢] .

فما على المربين بعد هذه التوصيات القرآنية والنبوية إلا بذل الجهد لتحصيل العلوم النافعة والمناهج التربوية الصالحة من أجل تربية جيل إسلامي ينفع نفسه ومجتمعه وأمته ويحقق لها عزَّ الإسلام وما ذلك على الله بعزيز ، وخير الناس من تعلم العلم وعلمه .

والعلم لا نهاية له ، فبعد القدر الأساس الضروري يظل المربي يطلب المزيد من العلم في مجال التربية أولاً ؛ فهو ما يحتاجه بالدرجة الأولى ، ثم يطلب المزيد من العلوم الأخرى والثقافة العامة التي تعينه على تأدية مهمَّته على خير وجه .

وعن عبدالله بن عمرو أنَّ النبيّ ﷺ قال : «**بَلِّغُوا عني ولو آيةً**»[٣] .

فما نتعلمه من معلومات مفيدة فعلينا أن نطبقه ونعلمه من حولنا من أهلنا ، وأصدقائنا ، وأولادنا . . .

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه (٢٦٩/١) .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢٩١/١) .

(٣) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٣٤٦١) .

٤- الحلم :

من الصفات الأساسية التي تساعد على نجاح المربي في مهمته التربوية صفة الاتزان والحلم والصبر ، فبهذه الصفة يكسب ود وحب الطفل فيستجيب لأقواله ويسمع كلامه .

فالحلم من أعظم الفضائل النفسية والخلقية التي تجعل الإنسان في قمة الأدب وفي أعلى مراتب الأخلاق ، وقد قال النبي ﷺ فيما يرويه الخطيب البغدادي عن أنس بن مالك رضي الله عنه : « **كاد الحليمُ أن يكون نبيًّا** »[١] .

ومن الآيات والأحاديث التي تدعو إلى صفة الحلم :

﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٤) .

﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ (الشورى: ٤٣).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال لِأَشَجِّ عبد الْقَيْسِ : « **إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا الله : الْحِلْمُ والأَنَاةُ** »[٢] .

خصلتان في منتهى الأهمية ، ليس فقط لتربية الأطفال ولكن للتعامل مع الناس جميعًا .

الرفق من الحلم :

- وعن عُروةَ بن الزُّبير أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجَ النبي ﷺ قالت : دخل رَهْطٌ من الْيَهُودِ على رسول الله ﷺ فقالوا : السَّامُ عليكم . قالت عَائِشَةُ : فَفَهِمْتُهَا فقلت : وعَلَيْكُمْ السَّامُ[٣] واللَّعْنَةُ . قالت : فقال رسول الله ﷺ : « **مَهْلاً يا عائشةُ ، إنَّ الله يحبُّ الرِّفْقَ في الأمرِ كُلِّه** » . فقلت : يا رَسُول الله أولم تَسْمعْ ما قالوا ؟ قال رسول الله ﷺ : « **قد قلت : وعَلَيْكُمْ** »[٤] .

---

(١) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال (١٦/٤٥) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/٤٨) .

(٣) السام : يعني الموت أو الهلاك باللغة العبرية .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/٢٢٤٢) .

وعن عائشةَ زَوْجِ النبي ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : « **إن الرِّفْقَ لا يكونُ في شَيْءٍ إلا زَانَهُ ، ولا يُنْزَعُ من شَيْءٍ إلا شَانَهُ** »[١] .

وعن جَرِيرٍ ، عن النبي ﷺ قال : « **مَنْ يُحرم الرِّفْقَ يُحرم الْـخَيْرَ** »[٢] .

وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال لها : « **يا عائشةُ ، ارْفُقِي فإن الله إذا أراد بأهل بيتٍ خيرًا دَلَّـهُمْ على الرِّفق** » ، وفي رواية : « **إذا أراد الله بأهلِ بيتٍ خيرًا أدخلَ عليه الرفقَ** »[٣] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنا نصلي مع رسول الله ﷺ العشاء ، فكان يصلي ، فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره ، وإذا رفع رأسه أخذهما فوضعهما وضعًا زفيقًا ، فإذا عاد عادا ، فلما صلى جعل واحدًا ها هنا وواحدًا هاهنا[٤] .

فعلى الأم أن تتحلى بالرفق والحلم والأناة ، إن أرادت إصلاح أطفالها وتربيتهم التربية السليمة ، كما أنَّ عليها البُعد عن الغضب وسرعة الانفعال التي تفسد الود والعلاقات .

الغضب والتسرع عكس الحلم :

إنَّ الغضب والعصبية الجنونية من الصفات السلبية في العملية التربوية ، بل في العلاقات الاجتماعية كلِّها ، فمن صفات المسلم بصفة عامة والمربي بصفة خاصة ، أن يكون قادرًا على ضبط نفسه عند الغضب ؛ حتى يستطيع أن يعالج الأمور بعقل واتزان وحكمة ، بدون تهور وإهانة كالسَّبِّ والمعايرة والتوبيخ وغير ذلك ، مما يفسد القلوب ويوقع النزاع والكره والحقد ، ولا يحقق أي فائدة لكلا الطرفين ، ثم لا ينفع الندم .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/٢٠٠٤) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٠٣) .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ١٠٤) .

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/١٨٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رجُلاً قال للنبيِّ ﷺ : أوصني . قال : «**لا تَغْضَبْ**» . فردّد مرارًا قال : «**لا تَغْضَبْ**»[1].

كذلك اعتبر النبي ﷺ الشجاعة والبطولة في القدرة على عدم الغضب ، وفي كظم الغيظ ، فقال فيما يرويه أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : «**ليس الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ ، إنما الشَّدِيدُ الذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عند الْغَضَبِ**»[2].

فالغضبُ آفة كل الآفات وبداية كل الشرور ؛ لأنّ الغضبان العصبي لا يتحكم في نفسه ويتملكه الشيطان ، فيقول ويفعل ما يفسد العلاقات ، فإن كان ولابد من الغضب فلا ينبغي أن يجاوز الحدود بقدر الإمكان .

وإن كان ولابد من العقاب فليعاقب عقابًا فيه شيء من الرحمة ، لا يتجاوز القدر الذي يحصل به التأديب .

ولا شك أنَّ الحِلم أولى من الغضب دائمًا ، وخاصة في مجال تربية النفوس وتقويم الأخلاق .

٥- الرحمة وإظهار الحب :

لكي يكون المربي أهلا للتربية الصالحة لا بدّ أن يضيف شيئا زائدًا على حسن المعاملة والرفق والألفة ، وهو إظهار الحنان الكامل بطرق متعددة ، كالإطراء والمدح والثناء وأساليب التشجيع والهدايا لما يؤديه الأطفال من واجبات دينية أو أمور دنيوية .

وعن عطاء بن أبي مُسلم الخراساني قال : قال رسول الله ﷺ : «**تَصَافَحُوا يَذْهَبِ الْغِلُّ ، وتَهادوا تَحَابُّوا وَتَذْهَبِ الشَّحْنَاءُ**»[3].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/٢٢٦٧)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/٢٢٦٧)

(٣) أخرجه مالك في موطئه (٢/٩٠٨) .

وهذا الحب المتبادل يصنع المعجزات ، وبالحب يستطيع المربي أن يكسب ثقة من يربيه ، فيطيعه فيما أمر من غير أن يناقشه ، فهو يعلم أنّ قلبه لا يحمل له إلا كل حب وخير .

والتصابي ـ خاصة للأطفال الصغار ـ دليل على العطف والحنان والمودة والرحمة ، فالأمُّ تنزل إلى مستواهم ، وتتكلف لهم ، كأنها واحدة منهم ، فتلاعبهم وتمازحهم وتحادثهم ولا تتعالى عليهم ، وبهذا يحبونها ويحترمونها تلقائيًّ دون تكلف . أما التي تُخوِّف أولادها ، فقد وضعت بينها وبينهم سدًّا يحول دون حبهم لها وينفرهم منها .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قَبَّلَ رسول الله ﷺ الْحَسَنَ بن عَلِيٍّ وعنده الأَقْرَعُ ابن حابس التَّمِيمِيُّ جَالِسًا ، فقال الأَقْرَعُ : إنَّ لي عَشَرَةً من الْوَلَدِ ما قَبَّلْتُ منهم أَحَدًا . فَنَظَرَ إليه رسول الله ﷺ ثُمَّ قال : «**مَنْ لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ**»[1] .

٦- الإحساس بالمسئولية :

من الأمور التي يجب أن يدركها المربي جيدًا ، استشعاره بمسئوليته الكبرى في تربية الطفل إيمانيًّا ، سلوكيًّا ، جسميًّا ، نفسيًّا ، عقليًّا ، اجتماعيًّا ، بحيث لا يَطغى جانبٌ على آخر .

فالهدف الواضح الجامع لخيريَّ الدنيا والآخرة هو تنشئة جيلٍ على الفضائل ومكارم الأخلاق ؛ لتحقيق الخير له ولمجتمعه ولأمته .

هذا الإحساس يدفعه دائمًا لأن يتفرغ ويبذل أقصى طاقته في مراقبة أولاده وملاحظتهم وتأديبهم ، وعليه أيضًا أن يعتقد أنَّ الغفلة والتساهل عن ملاحظة الأولاد وعدم التفرغ لهم قد يؤدي غالبًا إلى تربية فاشلة تؤدي إلى فساد في المجتمع ؛ ولذلك حمّل الإسلامُ الآباء والأمهات والمربين جميعًا مسئولية التربية في بُعد حدودها ، وحذرهم وأنذرهم بأنَّ الله سبحانه سيسألهم يوم العرض عن هذه الأمانة هل أدوها ؟ وعن الرسالة هل بلغوها؟ وعن المسئولية هل تحملوها ؟

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٢٣٥) .

قال تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (طه: ١٣٢).

وقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ (التحريم: ٦).

﴿ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (النحل: ٩٣) .

﴿ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ (الصافات: ٢٤) .

وعن عبد الله بن عُمرَ قال : سمعت رَسُولَ الله ﷺ يقول : «كُلُّكُمْ رَاعٍ وكُلُّكُمْ مسئولٌ عن رَعِيَّتِهِ»[1] .

وعن مجاهد في تفسير قوله تعالى : ﴿ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ ﴾ : أوْصُوا أنفُسَكُم وأهْلِيكُم بتَقْوَى الله وأدِّبُوهم[2] .

وقال رَسُول الله ﷺ : «ما نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا من نُحْلٍ أَفْضَلَ من أَدَبٍ حَسَنٍ»[3].

فانطلاقًا من هذا الأمر القرآني والتوجيه النبوي ، وَجَب على كُلِّ مربٍّ مؤمن يحب الله ورسوله أن يقوم بهذه المسئولية على أكمل وجه وأقوى عزيمة ، واضعًا أمام عينيه غضبَ الله إذا هو فرَّط ، وعذابَ جهنم إذا هو قَصَّر ، فالمحاسبة عسيرة ، والهول عظيم ، وجهنم تقول : هل من مزيد .

٧- دوام الدعاء واللجوء إليه :

على المربي ألا ينسى أبدًا الدُّعاء إلى الله والتضرع له سبحانه أن يوفقه في مُهمّته ، فالهداية والتوفيق أولاً وأخيرًا منه سبحانه .

وليتذكر قول سيدنا شعيب عليه السلام :

﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَـٰحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (هود : ٨٨) .

* * *

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٣٠٤) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١٨٦٨) .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٤ ٣٨٨)

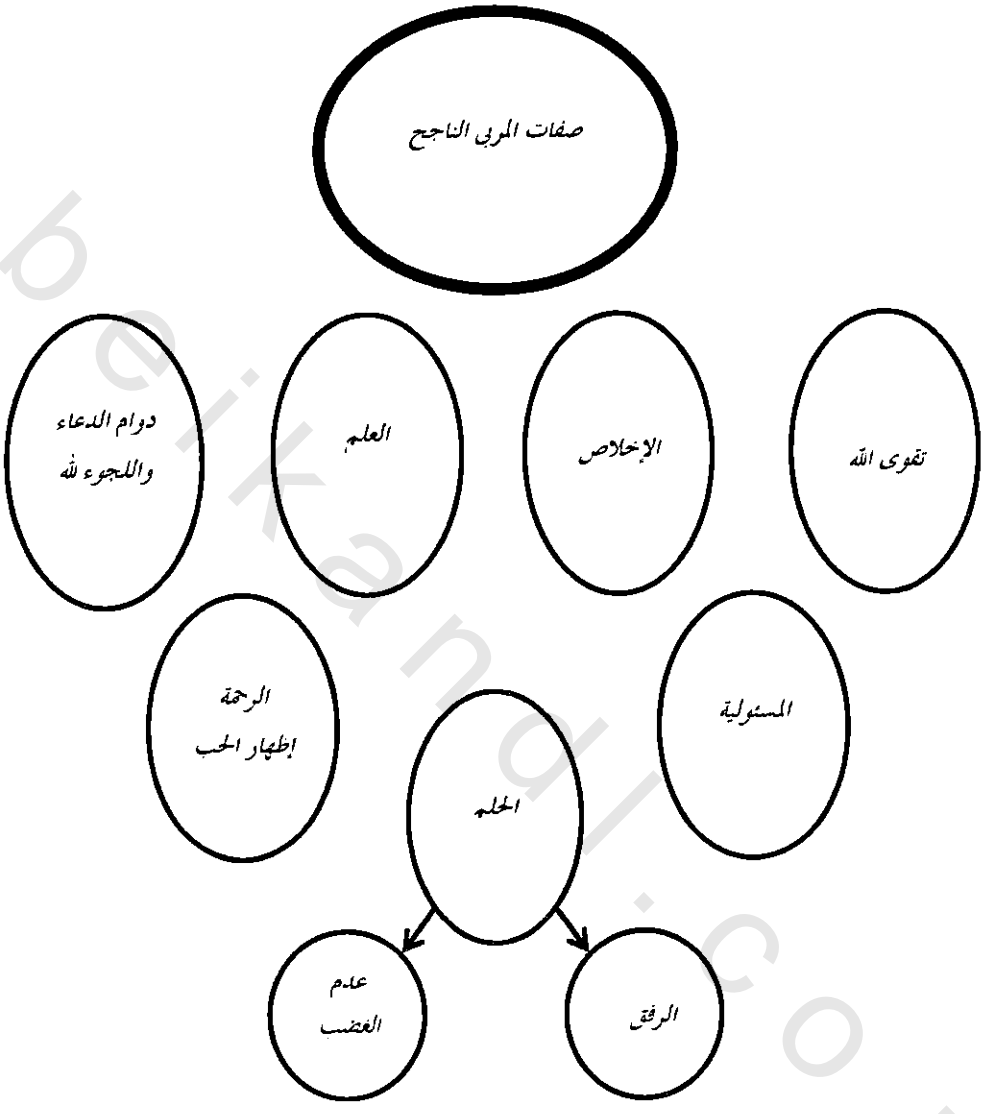

obeikandl.com

حقوق الطفل في الإسلام

● تمهيد :

الأولاد نعمة وفقدانها ليس نقمة :

أمام نعمة الأبوة والأمومة نلاحظ أن هناك طائفة من الناس قد امتحنهم الله بفقدان هذه النعمة ، واختبرهم بحرمانهم منها ؛ لحكمة لا يعلمها إلا الله ، ولكي تبقى القلوب موجهة إليه بالدعاء في طلب الولد ، وخاصة الولد الصالح .

وليجعل كل من الزوجين أمام عينيه قول الله ﷻ : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ (الشورى:٤٩،٥٠).

أي أن الله عليم بأحوال خلقه يختار لهم الخير حيث كان .

وقد جاء في الحِكم : «**لو علمتم الغيب لاخترتم الواقع**» ، فعلينا بالرضا والتوكل على الله .

والتوكل على الله يكون بالأخذ بأسباب الشفاء ، من الذهاب إلى الأطباء المتخصصين ، والالتزام بالعلاج ، وأيضًا باللجوء إلى الله الرزاق بالذكر والدعاء .

أذكار وأدعية لطلب الأولاد :

١- كثرة الاستغفار :

وقد ذكر القرآن الكريم علاج العقم من بين فوائد الاستغفار ، فقال تعالى : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ (نوح: ١٠- ١٢).

ويقول ﷺ : «**مَنْ أكثر مِنَ الاستغفار جعل الله له من كل ضِيقٍ مخرجًا ومن كل هَمٍّ فرجًا ورزقه من حيثُ لا يحتسب**»(١).

٢- الدعاء بدعاء الأنبياء في طلب الأولاد من الله تعالى،كما ورد في القرآن الكريم:

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٤٨) حديث (٢٢٣٤) من حديث عبد الله بن عباس .

﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (الصافات: ١٠٠).

﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ (الأنبياء: ٨٩).

﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ (آل عمران: ٣٨).

فليكررها في السجود وفي أوقات الإجابة ؛ لعل الله أن يستجيب ، خاصة وأنَّ الله ذكر البشارة بالولد بعد ذكر هذه الأدعية .

٣- قراءة سورة يس : « **يس لِـمَا قُرِئتْ له**»[١] .

وفي النهاية نقول لمن حرمت نعمة الأطفال : إن الأمومة والتربية والعطاء والحنان ليست فقط لمن حملت وولدت وأرضعت ، إنما هي فطرة في النساء ، فهي تستطيع أن تمارس الأمومة والتربية مع الأطفال سواء في أسرتها ، أو في جيرانها ، أو في المسجد ، أو في المدرسة . . . وهكذا في أي مكان تتواجد فيه وتستطيع فيه العطاء .

● متى تبدأ بتربية طفلك ؟

أجاب البعض عن هذا السؤال بأن التربية تبدأ منذ أن يعي الطفل ما حوله ويبدأ الإدراك وذلك بعد السنتين ، وقال البعض في سن المدرسة ٤- ٥ سنوات تبدأ التربية الجادة ، وقال آخرون : منذ الشهور الأولى .

والحقيقة أن تربية الأبناء تبدأ قبل ذلك بكثير ، حتى قبل أن يولدوا . قد يبدو هذا أمرًا مستغربًا للوهلة الأولى ؛ لاعتقاد الكثير من الناس أن المعدوم لا يتعلق به حكم ولا يترتب عليه أمر من أمور الدين والدنيا .

والحقيقة أنَّ الإسلام قد وضع للطفل الضوابط والحقوق التي توفر له حقه في الحياة وفي السعادة قبل أن يوجد ـ وهو عدم ـ وأيضًا وهو جنين في رحم أمه لم يولد بعد ، ثم حقوقه بعد أن يولد .

* * *

---

(١) ذكره العجلوني في « كشف الخفاء » (٢/٥٢٦) حديث (٣٢١٣). وقال : « قال في المقاصد الحسنة : لا أصل له » .

أ- حقوق الطفل قبل وجوده (وهو عدم)

١- حسن اختيار الزوجين ومراعاة التكافؤ والتوافق بينهما :

في الإسلام هناك معايير لاختيار الزوجين ، أهمها : الدين والخُلُق والتكافؤ في النسب والسن والعلم والثقافة ، مع أهمية وجود التوافق والحب والتفاهم .

فاختيار الزوج المناسب يكون على أساس من التدين والخلق الحسن في المقام الأول .

ولما سأل رجل الحسن بن على : إن لي بنتًا فمن أزوجها؟ قال : « زوجها ممن يتقي الله فإن أحبها أكرمها ، وإن أبغضها لم يظلمها » .

وقال ﷺ : « **إذا جاءكم مَنْ تَرْضَوْنَ دينَه وخُلُقَه فزوِّجوه ، إلا تفعلوا تَكُنْ فتنةٌ في الأرض وفسادٌ كبيرٌ** »(١).

وكذلك فالزوجة التي حثَّ الإسلام على الارتباط بها هي ذات الدين : « **تُنْكَحُ المرأةُ لأربعٍ : لجمالها ، ومالها ، وحَسَبِها ، ولدينها ، فاظفرْ بذاتِ الدين تَرِبَتْ يداك** »(٢).

« **ما استفاد المؤمنُ بعد تقوى الله ﷻ خيراً له من زوجةٍ صالحةٍ** »(٣).

« **الدُّنيا متاعٌ وخيرُ متاعها الزوجةُ الصالحةُ** »(٤).

---

(١) أخرجه الترمذي في « سننه » كتاب « النكاح » باب « ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه » حديث (١٠٨٥) من حديث أبي هريرة . وقال : « هذا حديث حسن غريب » .

(٢) متفق عليه : أخرجه البخاري في كتاب « النكاح » باب « الأكفاء في الدين » حديث (٥٠٩٠) ، ومسلم في كتاب « الرضاع » باب « استحباب نكاح ذات الدين » حديث (١٤٦٦) من حديث أبي هريرة .

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه « كتاب « النكاح » باب « أفضل النساء » حديث (١٨٥٧) من حديث أبي أمامة .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب « الرضاع » باب « خير متاع الدنيا المرأة الصالحة » حديث (١٤٦٧) من حديث عبد الله بن عمرو .

وصلاح الرجل أو المرأة في الدين هو الذي يحمي من الزلل والوقوع في الأخطاء ، ويدفع للتخلق بالأخلاق الكريمة والمعاملة الحسنة والصبر في المشاكل والخلافات ، ويجعل كل واحد هدفه مرضاة الله من خلال رعاية وإسعاد الآخر ، ويكون كل واحد قدوة صالحة لأولاده في ذلك كله ، فيكون نعم المربي والمُعين والقدوة للأولاد .

وليس هناك أيُّ حرج في أن يتطلع كل منهما إلى صفات أخرى في الآخر ، مثل : الجمال أو المال أو النسب ، ولكن علينا ترتيب الأولويات ، فالدِّينُ أولاً ، فإذا وُجد فلننظر فيما بعده ، وإذا لم يوجد فلن تنفع كل هذه المواصفات الأخرى حتى ولو اجتمعت ، وسيكون كل واحد قد عرض نفسه ودينه وسمعته وأولاده لخطر كبير لا يعلم مداه إلا الله .

كذلك ينبغي عند الاختيار أن يتأكد كل من الرجل والمرأة خلو الآخر من الأمراض الوراثية والمُعدية ؛ حرصًا على سلامة نفسه وسلامة أولاده : «**لا ضَرَرَ ولا ضِرارَ**»[1] . وهذا الأمر يغفل عنه كثير من الناس .

ويستحب التزوج من الغرباء ؛ لما في زواج الأقارب من أضرار صحية قد أثبتها العلم الحديث .

وهنا نلفت النظر إلى نقطة مهمة : أنه إذا كان النبي ﷺ قد أوصانا أن نختار المتدين الصالح من وسط المسلمين ، فما بال هؤلاء الذين يتزوَّجون غير المسلمات من النساء ، أو التي تتزوج الأجنبي الذي ما أسلم إلا بالاسم فقط ، فأولادهم يكونون أشد تعرضًا للتربية غير الإسلامية ، بل وللانحراف .

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١٤٢٩) ، وأحمد في مسنده (٥/ ٥٥) ، وابن ماجه في سننه كتاب « الأحكام » (٢٣٤١) ، والطبراني في الأوسط (١/ ٩٠/ ٢٦٨) ، والبيهقي في سننه (٦/ ١٥٧) .

ولذلك حذر الرسول ﷺ من سوء الاختيار قائلاً : « **إِيَّاكُمْ وَخَضْرَاءَ الدِّمَنِ** »؟ قالوا : وما خضراءُ الدمن يا رسولَ الله؟ قال : « **المرأةُ الحسناءُ في المنبتِ السُّوءِ** »[1].

واختيار الأم الصالحة حق مكفول ومؤكد من حقوق الطفل على أبيه ، ونفس الكلام بالنسبة للمرأة .

فقد شكا أحد الآباء إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عقوقَ ابنه ، فأرسل إليه عمر وقال له : « ما حملك على عقوق أبيك »؟ فقال الابن : « يا أمير المؤمنين ما حق الولد على أبيه؟ قال : « أن يُحسن اسمه ، وأن يُحسن اختيار أمه ، وأن يُعلمه الكتاب » ، فقال : يا أمير المؤمنين إنّ أبي لم يفعل شيئًا من ذلك . فالتفت عمر للأب وقال : « عققتَ ابنك قبل أن يُعقك ».

ولنتذكر أن من أهداف الزواج في الإسلام إدخال السرور على قلب رسول الله ﷺ باتباع سنته ، فقد قال ﷺ : « **النِّكاحُ سُنتي ، ومَنْ لم يعملْ بسنتي فليس مني ، وتزوَّجُوا فإني مكاثِرٌ بِكُمُ الأممَ يوم القيامة** »[2].

ولكن المهم أن تكون هذه الذرية ذرية صالحة ؛ عابدة لله ومعمرة للأرض .

٢- الكسب الطيب والرزق الحلال :

أن يتحرى الزوجان المال الحلال ، فلا يأكلا ولا يشربا إلا حلالاً .

فالطعام ينشئ النطفة (أصل الولد)، فالنطفة الطيبة ينشأ عنها ولد صالح بإذن الله، فيكونون ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، ويكونون على الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها .

---

(١) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٩٦) حديث (٩٥٧) من حديث أبي سعيد الخدري . ومعناه صحيح وإن كان إسناده فيه ضعف لا يضر .

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب النكاح باب ما جاء في فضل النكاح حديث (١٨٤٦) من حديث عائشة .

كذلك فالإنسان الذي يكون طعامه حلالاً والذي يتحرى الحلال في كل شيء يكون دعاؤه مقبولاً ، فإذا دعا الله أن يرزقه ولدًا صالحًا قبل الله منه دعاءه واستجاب له .

قال ﷺ : «**يا سعدُ أَطِبْ مطعمك تكنْ مستجابَ الدعوة ، والذي نفسُ محمدٍ بيده إن العبد يَقْذِفُ اللقمةَ الحرامَ في جوفه ما يُتقبَّلُ منه العملُ أربعين يومًا ، وأيُّما عبدٍ نَبَتَ لحمُه من سُحْتٍ فالنارُ أولى به**»[1].

٣- التسمية والدعاء قبل الجماع :

بأن يقول الزوجان قبل الجماع الدعاء الوارد عن رسول الله ﷺ : «**لو أن أحدكم إذا أتى أهلَه قال : بسم الله ، اللَّهُمَّ جنِّبْنَا الشيطانَ وجنِّبِ الشيطان ما رزقتَنا ، فإن قُدِّر بينهما في ذلك ولدٌ لن يَضُرَّ ذلك الولدَ الشيطانُ أبدًا**»[2].

وهذا الحق من حقوق الطفل للأسف يجهله كثير من الناس ، أو ربما يعرفونه ولكن لا يطبقونه .

ولا مانع أيضًا من الزيادة في هذا الدعاء بأن يكون الطفل صالحًا نافعًا للإسلام والمسلمين ، فعسى الله أن يجعل هذا الولد صالحًا ببركة التسمية وذكر الله ، فيحفظه الله أثناء حمله وولادته ، بل وفي حياته كلها ، وقد قال تعالى لإبليس : ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾

(الإسراء: ٦٤).

واستشهد ابن كثير بالحديث السابق في تفسيره لهذه الآية ، وكيف أنَّ الشيطان يضرُّ النَّسل بالوسوسة والتزيين بالإغواء ، وأنَّ التسمية والتعوذ من الشيطان هي

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦/٣١١) حديث (٦٤٩٥) من حديث سعد ابن أبي وقاص .

(٢) متفق عليه : أخرجه البخاري في كتاب النكاح باب ما يقول الرجل إذا أتى أهله حديث (٥١٦٥) ، ومسلم في كتاب النكاح باب ما يستحب أن يقوله عند الجماع حديث (١٤٣٤) من حديث ابن عباس .

إحدى الوسائل التي تحفظ أولادنا من الشيطان ، هذا فضلاً عن الأجر الذي يحصل عليه الرجل أو المرأة من وراء هذا الذكر في الوقت الذي ينساه الكثير عند اشتداد الشهوة .

ويُستحبُّ للمرأة أن تقول هي أيضًا الدعاء ، أو تُذكِّر زوجها به ، أو تؤمّن على دعائه .

هذا الذكر قبل الجماع يقوّى بينهما السكون والراحة النفسية الذي ينشأ منه السكون الجنسي ، ويقوِّي رغبتهما في الإنجاب إذا كان الإنجاب أمنية لهما ، ويعطيهما الإحساس بأن الجماع من أعظم النعم التي تستحق شكر الله .

وذكر الله مستحب في جميع أوقاتنا كما علمنا قدوتنا ونبينا ﷺ .

* * *

obeikandl.com

ب- حقوق الطفل وهو جنين في رحم أمه

١- الاستبشار بالحمل :

الولد ـ ذكرًا كان أو أنثى ـ هو قرة عين أبيه وأمه وسبب سعادتهما في الدنيا ، وربما في الآخرة أيضًا حين يدخله الله معهما الجنة إذا أُنشئ على الدين والخلق الكريم .

فإذا شعرت المرأة بالحمل ينبغي لها أن تفرح وأن تستبشر ، وأن تبشر زوجها بذلك وتبشر كل من يفرح لفرحها ، وعليها أن تحمد الله على هذه الهبة والهدية الغالية حمد الشاكرين ، وعليها أن تكثر من الدعاء أن يجعله الله من الذرية الصالحة ، وعلى زوجها أن يفعل ذلك أيضًا ، فإن مشاعر السعادة التي تشعر بها الأم وعلو حالتها النفسية سيكون له الأثر الطيب على الجنين .

أما إذا شعر الآباء بالاكتئاب بسبب هذا الحمل كأن يكون لديهم الكثير من الأبناء فخافوا الفقر أو عدم القدرة على التربية ، فشعور الأم بالحزن يكون له أثره السيئ على الجنين .

ثم إن عليهم ألا ينسوا أن الله ﷻ هو الرَّزَّاق ذو القوة المتين ، وقد ضمن لكل دابة رزقها .

أو قد يكون الحزن بسبب علمها أنها حامل في أنثى ، وهذا يتنافى مع الرضا بقضاء الله ، فربنا تبارك وتعالى يخلق ما يشاء ويختار ، وقد عاب الله في القرآن على من يُرزق ببنت فيكتئب ويحزن : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (النحل:٥٨).

فالذَّكر والأنثى هبةٌ من الله ، وتفضيل الذكور على الإناث من صفات الجاهلية .

واجبات الزوجة نحو جنينها :

١- أن تحتفظ بنظام غذائي جيد يعود عليه وعليها بالصحّة والعافية ، وهو الاعتدال في المأكل والمشرب ، فخير الأمور أوسطها ، وتكثر من اللبن وعسل النحل والتمر والموز والتفاح ، والفاكهة بصفة عامة .

٢- ألا تجهد نفسها في العمل ، حتى يستقر الجنين في بطنها .

وقد أباح لها ربُّها كثيرًا من الرخص ، كأن تفطر في شهر رمضان ثم تقضي بعد ذلك ، وأن تصلي جالسة إذا عجزت عن القيام والركوع والسجود ، أو وجدت فيه مشقة بالغة .

٣- عليها أن تبتعد تمامًا عن الضغوط النفسية والاضطرابات العصبية ، وعلى المحيطين بها ـ وأولهم الزوج ـ أن يأتوها بالأخبار السارة .

٤- عليها أن تبتعد عن كل ما يضر الطفل ، كالتدخين ـ وهو منهي عنه في جميع الأحوال ـ أو أخذ أية أدوية إلا بإذن الطبيب .

٥- لا يجوز أن تهمل في علاجها إذا أحست بمرض ؛ لأن التقصير في حقها تقصير في حق الطفل .

واجبات الزوج نحو زوجته أثناء حملها :

من المعروف أنه على الزوج أن يرفق بزوجته في جميع الأحوال امتثالا لقول الله عز وجل ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ (النساء:١٩) ، واتباعا لوصية رسول الله ﷺ (استوصوا بالنساء خيرا)، و (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي). وتكون الزوجة في أشد الحاجة إلى الرفق أثناء الحمل ، وهي الفترة التي تكون فيها في حالة من الضّعف والخوف والقلق ، فهي تكون كالطفل الذي يحتاج دائما إلى الحنان والحب ، فعلى زوجها أن يشاركها آلامها وامالها ، ولا يطلب منها ما يشقُّ عليها ، بل عليه أن يساعدها ويخدمها بقدر الإمكان .

فمن ضمن شكر نعمة الله عليه أن يوفّر لها الرّاحة الجسديّة والنفسيّة ، وهو أيضا عليه أن يبتعد عن التدخين ، فالذي يشم الدخان يعاني من الأضرار أكثر مما

يعانيه المدخن نفسه ، وخصوصًا الأطفال والأجنة ، ولعل ذلك يؤدي به إلى الخير العظيم في الكف تمامًا عن التدخين الذي اتفق العلماء على خبثه وشدة ضرره .

٢- الاحتفاظ بحق الجنين في الميراث :

على أهل الجنين أن يحتفظوا له بحقِّه في الميراث إذا مات مُورثه ، حتى إذا خرج من بطن أمه حيًّا ضمن له ولي الأمر حقَّه كاملاً إلى أن يبلغ رُشده ، مع استثماره له في الحلال متى أمكن ذلك ، ويُقَدَّر أنه ذَكَر ، فإذا تبين أنها أنثى بعد ولادتها أعطيت حقها ورددنا الباقي على الورثة .

فلننظر إلى عدالة الإسلام في أسمى صورها وأرقى معانيها ، وكيف أن تشريعه لم يغادر صغيرة ولا كبيرة مما يحتاج الناس إلا شملها وبيَّنها ووضحها لنا .

فالجنين في بطن أمه إنسان بكلِّ ما تعنيه الكلمة من معنى ، له حقوق ولكن ليس عليه واجبات حتى يبلغ ، فالعقل مناط التكليف كما يقول الفقهاء .

٣- الاحتفاظ بحق الجنين في الحياة :

من حق الجنين في بطن أمه أن تحتفظ به ولا تحاول إسقاطه بأي عذر من الأعذار إلا للضرورة القصوى .

والضرورة القصوى يحددها الطبيب المسلم الماهر في الطب ؛ كأن يكون لا ينمو في بطنها ، أو أنه سيؤدي إلى الضرر الأكيد بصحتها ، أو سيؤدي إلى موتها ، أو التأكد من تشوه الجنين ، رجوعا إلى القاعدة الفقهية «**الضرورات تبيح المحظورات**» .

ولا يجوز لزوجها أن يرغمها على إسقاطه ، وإن أمرها فعليها ألا تطيعه ؛ فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

وقد أجمع الفقهاء على أن الإجهاض حرامٌ ، ولكن هناك فرق في الحكم بين فترتين زمنيتين :

١- فإذا كان إسقاط الجنين بعد نفخ الروح ـ بعد الشهر الرابع ـ فقد أجمع الفقهاء أنه يعتبر قتلاً للنفس ، فهو من الكبائر ، إلا في حالة الضرورة القصوى كما ذكرنا .

٢- أما الإجهاض قبل نفخ الروح ـ قبل الشهر الرابع ـ فذنبه أخف ، والشهر الأول أخف جرمًا من الثاني ، والثاني من الثالث ، فعند الشهر الرابع يجب التسليم والرضا بقدر الله .

تأجيل إقامة الحد على المرأة الحامل :

أجمع العلماء على تأجيل إقامة الحدِّ على المرأة الحامل حتى تضع حملها وترضعه ؛ وذلك مراعاة لحُرمة الجنين ، فقتلها فيه قتل لروح لا ذنب لها ؛ وذلك استنادًا للسنة العملية للرسول ﷺ بتأجيل إقامة الحدِّ على المرأة الغامدية التي أقرت بالزنا وطلبت العقوبة للتكفير ، فقد قال لها النبي ﷺ :«**اذهبي حتى تَلِدِي**»، فلما ولدت أتت بالصبي في خِرقة قالت : هذا قد ولدته ، قال : «**اذهبي فأرضعِيه حتى تَفْطِمِيه**» ، فلما فعلت أتت بالصبي وفي يده كسرة خبز ، فقالت : هذا يا نبي الله قد فطمته وقد أكل الطعام ، فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين ، ثم أمر فحفر لها إلى صدرها وأمر الناس فرجموها[١].

فإذا حدث الإجهاض بدون ضرورة مُلحة فليس هناك كفارةٌ إلا التوبة والاستغفار والإكثار من الحسنات : ﴿ **إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ** ﴾ (هود:١١٤)، أما من يقول بكفارة القتل الخطأ فلا دليل لهم .

حكم التعقيم المؤقت (تنظيم النسل) والمؤبد :

الزواج والإنجاب من سنة النبي ﷺ : «**تزوَّجوا فإني مُكاثِرٌ بكم الأممَ يوم القيامةِ**»[٢].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب « الحدود » باب « من اعترف على نفسه بالزنا » حديث (١٦٩٥) من حديث عبدالله بن بريدة عن أبيه .

(٢) أخرجه البيهقي في « السنن الكبرى » (٧/ ٧٨) حديث (١٣٢٣٥) من حديث أبي أمامة .

فالتعقيم المؤبد والحرمان من النَّسل نهائيًا مع القدرة عليه ومع عدم وجود أي ضرورة محققة حرامٌ ؛ لأنه سيؤدِّي إلى ضررٍ قد يقع على أحدهما أو كلاهما ، وهو ضد الفطرة ، بل يتعداهما إلى من يشتاق إلى نسلهما كأم الزَّوج أو أم الزوجة أو أبويهما أو الأقارب ، فهو داخل في عموم حديث : «**لا ضررَ ولا ضرارَ**»[1].

أمَّا التعقيم المؤقت أو تنظيم النسل ، والذي يكون بأخذ وسائل منع الحمل المؤقت ، فقد أباحه الفقهاء تيسيرًا على الناس ، وخاصة إذا خيف من كثرة الحمل أو ضعف المرأة من الحمل المتتابع ، أو الخشية على الرضيع من حمل جديد .

وفي ضوء الإسلام فالمدة المُثلى بين كل وليدين هي من (٣٠ إلى ٣٣ شهرًا) لمن أراد أن يتم الرضاعة ، أي : سنتان كاملتان للرضاعة (٢٤ شهر) ، بالإضافة إلى مدة حمل جديد ، (وهي ٩ أشهر) ، فيكون المجموع ٣٣ شهرًا . وذلك على أن يتم تنظيم النسل على تشاور وتراض من الزوجين .

وقد حذرنا الله سبحانه وتعالى من أن يكون الخوف من الفقر هو السبب من وراء الإجهاض ، فقال في كتابه العزيز : ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا** ﴾ (الإسراء : ٣١) .

وهي آية موحية بمعانٍ كثيرة منها :

١- النهي عن قتل الأولاد ، وأسماه قتلاً لبشاعة الفعل .

٢- بيان الدافع : ﴿ **خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ** ﴾ ، أي : خوفًا من قلة الرزق .

٣- الرد على دعواهم بقوله : ﴿ **نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ** ﴾ ، فهو وعد من الرزاق ذو القوة المتين أنه سيرزقهم ويرزق الآباء برزقهم ، ﴿ **وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ** ﴾؟ (التوبة : ١١١)

٤- بشاعة الجريمة : ﴿ **إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا** ﴾ .

* * *

---

(١) سبق تخريجه صـ ٤٣ .

جـ- حقوق الطفل بعد ميلاده

تمهيد :

أدعية عسر الولادة :

الطَّلق له الامه ومتاعبه الجسدية والنفسية ، ولحظة خروج الطفل من أصعب اللحظات على الأم .

وقد روي أن السيدة فاطمة رضي الله عنها لما اقترب وقت ولادتها أمر رسول الله ﷺ أم سلمة وزينب بنت جحش أن يأتياها فيقرءا عندها :

١- آية الكرسي .

٢- وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأعراف:٥٤) .

٣- وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (يونس:٣) .

٤- ويعوذاها بالمعوذتين[١] .

وينبغي للمرأة في هذه الساعات العصيبة أن تلجأ إلى الله بصدق وإخلاص ، وأن تجدد التوبة النصوح ، فبإذن الله ييسر الله تعالى عليها ولادتها . وتدعوه متضرعة : « **اللهم أَغِثْنَا** » ثلاث مرات[٢] .

---

(١) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (١/٥١٧) حديث (٦٢٠) من حديث فاطمة رضي الله عنها .

(٢) متفق عليه ، وهو دعاء عام في كل كرب وهم

وعندما يخرج الطفل ـ بإذن الله وحوله وقوته ـ من بطن أمه تنتهي الحياة الجنينية لتبدأ الحياة الطفولية ، وهنا تبدأ حقوقه التي سنها لنا النبي ﷺ في مراسم استقبال هذا الطفل الجديد .

السنن النبوية في استقبال المولود :

على الآباء أن يتعلموا سُنن استقبال المولود التي علمها لنا النبي ﷺ ، ويطبقونها على أولادهم ؛ لينالوا رضا رب العالمين ، وليتحلوا بالإسلام قولاً وعملاً ، وليتميزوا كمسلمين .

● سنن اليوم الأول في الولادة :

١- استحباب البشرى والتهنئة[١] بالمولود :

إذا وضعت المرأة حملها بسلامة الله تعالى يستحب لمن حضر الولادة من الأهل أن يسارع إلى والده أو المقربين فيبشره بالمولود ذكرًا كان أو أنثى ، ويدخل السرور على الأب والأقارب ، فهي بشرى مزدوجة : سلامة الأم وسلامة المولود .

ويستحب لمن جاءته البشرى أن يكثر من حمد الله تعالى والثناء عليه ، وأن يشكر من حمل إليه البشرى .

وينبغي هنا أن ننبه على أن الإسلام لا يفرق بين الذكر والأنثى ، فهما في التكليف سواء ، وقد تكون الأنثى أنفعَ لأبويها وخاصَّة عند الكبر ، كما دلَّت على ذلك التجارب .

ولا شك أن البشرى والتهنئة تدخل السرور والفرح على قلب الأم والأب وكل من حولهم من أقارب وجيران وأصدقاء ، ففرحة الأم بوليدها تُنسيها ألم الولادة وتتفرغ لطفلها بنفس راضية ؛ فيقذف الله في قلبها الحب والقدرة على العطاء والإيثار .

---

(١) البشرى : إعلام بما يسر . والتهنئة : دعاء بالخير بعدها .

وقد وردت البشرى بالمولود في القرآن الكريم : ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ (مريم : ٧).

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ (آل عمران:٤٥).

﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ (هود : ٦٩).

وقد ذمّ الله تعالى وعاتب من يُبشّر بالأنثى فيحزن ويغتم ، وهو من صفات الجاهلية التي للأسف قد تكون موجودة إلى الآن :

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (النحل : ٥٨) .

٢- استحباب التأذين والإقامة في أذنيه :

يستحب أن يؤذّن - في أذن المولود اليمنى - رجلٌ صالحٌ ، سواء أكان الأب أو الجد أو الأقارب ، ثم يقيم الصلاة في أذنه اليسرى بصوت خافت خاشع ، فإن لم يكن هناك رجلٌ أذّنت له امرأة صالحة ، وهذه السنة الشريفة مأخوذة من الحديث : «رأيتُ رسول الله ﷺ أَذَّن في أُذُنِ الحسن بن عَلي حين ولدتْه فاطمةُ»[1].

ولعل الحكمة في ذلك أن يكون أول شيء يسمعه المولود عند خروجه إلى الدنيا هو الشهادة ، وأول شيء ينطبع ويستقر في سمعه وقلبه هو الأذان ، فإذا بلغ سمع وأطاع .

فهذا التأذين بمثابة التلقين له بشعار الإسلام عند دخوله في الدنيا كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها .

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الأضاحي باب الأذان في أذن المولود حديث (١٥١٤) ، وأبو داود في كتاب الأدب باب في الصبي يولد فيؤذن في أذنه حديث (٥١٠٥) ، من حديث عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح

وفائدة أخرى لهذه السُّنة وهي هروب الشيطان من كلمات الأذان والإقامة ؛ فالشيطانُ يرصد المولود حين يولد ، فإذا سمع الأذان أضعفه من أول وقت في معركته مع هذا الوافد الجديد ، فتسبق دعوة المولود إلى الله قبل دعوة الشيطان .

ولا مانع من أن نقول في أذن المولود دعاء أم السيدة مريم مقتدين بها : ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ (آل عمران:٣٦) .

٣- الدعاء والشكر لله :

رَوى أنس بن مالك رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : «**ما أنعم اللهُ على عبدٍ من نعمةٍ في أهلٍ أو مالٍ أو ولدٍ فيقول : ما شاء الله لا قوَّةَ إلا بالله فيَرى فيها آفةً دون الموتِ**»[(١)].

وهذا مصداق لقوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ (الكهف : ٣٩).

وعلى الأب أو الأم أو العائلة أن تدعو بالبركة للمولود ؛ فقد ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : «**كان رسولُ الله ﷺ يُؤتَى بالصِّبيان فيدعو لهم بالبركة**»[(٢)].

٤- تحنيك فم الطفل :

وردت بعض الأحاديث التي تفيد أنَّ النبي ﷺ حنَّك المولود ، ففي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : «وُلِدَ لي غلام فأتيت به النبي ﷺ فسمَّاه إبراهيم وحنَّكه بتمرةٍ ودعا له بالبركة ودفعه إليَّ»[(٣)].

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦/ ١٢٦) حديث (٥٩٩٥) من حديث أنس .

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب «الأدب» باب «في الصبي يولد فيؤذن له في أذنه» حديث (٥١٠٦) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٣) متفق عليه : أخرجه البخاري في كتاب «العقيقة» باب «تسمية المولود غداة يولد لمن لم يعق عنه» حديث (٥٤٦٧) ، ومسلم في كتاب «الآداب» باب «استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله» حديث (٢١٤٥) من حديث أبي موسى الأشعري .

والتحنيك معناه : مضغ التمرة ووضع جزء من الممضوغ على الإصبع المبلل بالسائل المسكر ، وإدخال الإصبع في الفم ، ثم تحريكه يمينًا وشمالاً .

وقيل : قد يجوز التحنيك بأي مادة مسكرة (ماء + سكر)، وعسل النحل أولى .

ولا شكَّ أن اتباع الوارد عن النبي ﷺ أولى طالما أنه مستطاع وميسور ؛ لتحصيل بركة الاتباع .

ولعل الحكمة هي تقوية عضلات الفم بحركة اللسان مع الحنك مع الفكين حتى يتهيأ المولود لالتقاط الثدي وامتصاص اللبن بشكل قوي .

وفي الصحيحين عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما : « أنها حملت بعبد الله بن الزبير بمكة ، فلما هاجرت إلى المدينة نزلت بقباء وولدت بها ، فأتت به رسول الله ﷺ فوضعته في حجره ، ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فِيهِ ، فكان أولَ شيء دخل جوفه ريقُ رسول الله ﷺ ، ثم حنَّكه بالتمر ، وكان أول مولود وُلِدَ في الإسلام ففرحوا به فرحًا شديدًا ؛ لأنهم قيل لهم : إن اليهود قد سحرتْكم فلا يُولدُ لكم »[1] .

● سنن اليوم السابع في ميلاد الطفل :

١- تسمية المولود :

جرت العادة أن يتشاور الأبوان في تسمية المولود بعد أن يولد وربما قبل أن يولد أيضًا ، فإن اختلفا سُمي بالاسم الذي اختاره له أبوه ؛ لأنه ينسب إليه .

ويستحب أن يُسمَّى في اليوم السابع من ولادته ، ولا بأس من أن يسمَّى قبل ذلك ، ويستحب أن يتخير الأبوان اسمًا يليق به ، يرضيه صغيرًا ويشرفه كبيرًا ؛ فإن الاسم عنوان لصاحبه وعَلَمٌ عليه ، فلا يسمياه باسم يُعاب عليه ، أو باسم يشبه أسماء النصارى واليهود والأجانب ، ولا بأسماء بها تذلل أو استصغار .

---

(١) متفق عليه : أخرجه البخاري في كتاب العقيقة باب تسمية المولود غداة يولد لمن لم يعق عنه حديث (٥٤٦٩) ، ومسلم في كتاب الآداب باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله حديث (٢١٤٦) من حديث أسماء بنت أبي بكر .

قال ﷺ : «**إنكم تُدْعَوْنَ يوم القيامةِ بأسمائكم وبأسماءِ آبائِكُمْ فأحسنُوا أسماءَكم**»[1].

وثبت أنه ﷺ غَيَّر الأسماء القبيحة إلى أسماء حسنة، مثل عاصية سماها جميلة، وحرب سماه سلمًا . . . وهكذا .

وقد ذكر ﷺ في حديثه «**إن أحب أسمائكم إلىَّ عبد الله وعبد الرحمن**»[2] وخير الأسماء الذكور : عبد الله ، عبد الرحمن ، عبد الرحيم . . . إلى آخر الأسماء المقرونة بالأسماء الحسنى ، وأيضا أسماء الأنبياء إلا لوطًا (يُذكِّر بعادات قومه) ، مثل : محمد ، محمود ، أحمد ، إبراهيم ، إسماعيل ، يوسف ، شعيب ، صالح ، ولا بأس أن يسمى بأي اسم آخر .

وكذلك البنات ، فمن الناس من يستبشر بأسماء كفاطمة وعائشة وخديجة ومريم ؛ تبركًا بهذه الأسماء .

وفي النهاية الأمر متروك للآباء على الإباحة بالشروط السابقة .

وقيل : يُكره كراهة تحريم إضافة لفظ العبودية لغير الله ، كأن يسمى عبد الرسول أو عبد النبي أو عبد الحُسين .

٢- عقيقة المولود :

يُسَن في اليوم السابع من ولادته للأب أو من يقوم مقامه بذبح شاة سليمة خالية من العيوب (سواء كان المولود ذكرًا أو أنثى) ، فهي سُنَّة مُستحبة لمن يقدر عليها ، ويطعم من لحمها الفقراء والجيران والأقارب .

رُوي أنَّ النبي ﷺ عقَّ (من العقيقة) عن الحسن والحسين كبشًا كبشًا[3].

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب باب تغيير الأسماء حديث (٤٩٤٨) من حديث أبي الدرداء .

(٢) رواه مسلم حديث (٢١٣٢)

(٣) أبو داود في كتاب الضحايا باب في العقيقة ، حديث (٢٨٤١) من حديث ابن عباس .

وفي بعض المذاهب شاتان للولد وشاة للأنثى ، مأخوذ من حديث النبي ﷺ : «عنِ الغلامِ شاتانِ وعن الأنثى واحدةٌ»[1].

ولا بأس أن يُحتفل بالمولود في اليوم السَّابع (السَّبوع) بما لا يخالف تعاليم الإسلام .

ويكون الاحتفال المشروع بالغناء له ولأمه ، وإدخال السرور عليها ، وجمع الأطفال وتوزيع الحلوى عليهم ، وإيقاد الشُموع ونحو ذلك من العادات .

لكن هناك عاداتٍ سيئةً ينبغي الإقلاعُ عنها ، مثل : الضرب بالهون عند أذن المولود ، ورش الملح لكي يدفع الحسد ، وتعليق الأحجبة . . . وغيرها من العادات التي تضر ولا تنفع .

والعقيقة توزع مثل الأضحية : الثلث للأهل ، والثلث للأقارب والأصدقاء ، والثلث للفقراء ، وللأسف نجد بعض الناس ينسون حق الفقراء .

والحكمة من العقيقة هي شكر الله على نعمة الإنجاب التي هي هبة من الله ، وفدية للمولود من المصائب والآفات ، وأيضًا توثيق روابط الألفة والمحبة بين أفراد المجتمع .

والعقيقة سُنَّة للأب إذا كان قادرًا ، فإن لم يستطع فلا شيء عليه ، وليست واجبة على الأم أو الأقارب ولو كانوا قادرين .

وقد أجاز العلماء أن يقوم المُسلم بهذه السُّنة عن نفسه أو أولاده عند الكبر ، إذا لم تكن فُعلت في الصِّغر .

وقد ذكر الفقهاء أنَّ العقيقة أفضل من الصدقة ، وأن طبخها أفضل من التصدق بلحمها نيئا .

قال ﷺ عن العقيقة : «كُلُوا وأطعِمُوا ولا تَكْسِرُوا منها عَظمًا»[2].

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الأضاحي باب ما جاء في العقيقة حديث (١٥١٦) من حديث أم كرز . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) أخرجه أبو داود في المراسيل (٢٧٨/١) حديث (٣٧٩) عن جعفر بن محمد .

والحكمة من عدم كسر العظام هي تقديم قطع كبيرة للفقراء لم يكسر عظمها ، وأيضًا تبركًا وتفاؤلاً بسلامة أعضاء المولود وصحَّته ، وإن كسرت فلا شيء فهو على سبيل الاستحسان .

٣- حلق رأسه والتصدق بوزن شعره :

يُستحبُّ حلق شعر رأس الصبي والتصدق بوزنه فضة ؛ وقد وزنت فاطمة رضي الله عنها شعر حسن وحسين وزينب وأم كلثوم فتصدقت بزنة ذلك فضة ، وهذه السُّنة تشمل الذكر والأنثى . والحكمة منها التوسعة على الفقراء .

ويقال : إن حلق الشَّعر يؤدي إلى تقويته وفتح مسام الرأس .

ويجوز التصدق دون حلق الشعر ؛ لأن التصدق هو تعبير عن الشكر بدليل مادي ، كما قال ﷺ : «**الصَّدَقَةُ بُرهانٌ**»[1] .

٤- الختان :

- الذكور :

الختان بالنسبة للذكر قطع الجلدة التي تغطي حشفة الذَّكر ؛ لئلا يجتمع فيها الوسخ ، وليتمكن من الاستبراء من البول ، ولكي لا تنقص لذة الجماع ، وهو سنة مؤكدة عند الجمهور .

ومن المُستحب أن يُختَن في اليوم السابع من ولادته (أو في أي يوم آخر) ، رُوي أنَّ النبي ﷺ ختن الحسن والحسين يوم السابع من ولادتهما ، وقد جعلها الرسول ﷺ من سنن الفطرة .

- الإناث :

الختان بالنسبة للبنات هو قطع جلدة تكون في أعلى الفرج ، وأحاديث الأمر بختان المرأة ضعيفة ولم يصحَّ منها شيء ، وأشهر هذه الأحاديث الضعيفة ؛ عن

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الطهارة ، باب ، فضل الوضوء . حديث (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري .

أم عطية الأنصارية : أن امرأة كانت تختن بالمدينة فقال لها ﷺ : « **لا تُنْهِكِي** ـ أي لا تبالغي في القطع ـ **فإنَّ ذلك أحظى للمرأةِ وأحبُّ إلى البعل** »[1] .

وإن صح هذا الحديث فهو لا يدل على الوجوب أو الاستحباب ، بل على العكس يحملنا على القول بعدم استحبابه ؛ وذلك لنهيه ﷺ المرأة عن المبالغة فيه ، حيث إن بقاء الوضع على الخلقة هو أحسن للمرأة والرجل .

والحقيقة التي أكدها لنا الكثير من العلماء المعاصرين أن الختان بالنسبة للإناث ليس فرضًا ولا سُنَّة ، وإنما هو عادة من العادات والأَوْلى تركها ، وقد أثبت كثير من أهل العلم والطب أن له أضرارًا نفسية وجسمية كثيرة ، وأقرهم على ذلك علماء الدين ؛ استشهادًا بحديث النبي ﷺ : « **لا ضرر ولا ضرار** »[2] .

٥- حق المولود في الرضاع :

من فضل الله تبارك وتعالى أنه تكفل برزق الوليد بعدما تولاه وهو في بطن أمه ، فيُجري اللبن في ثدي الأم بمجرد الولادة دون إرادة منها أو مجهود ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ **وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ** ﴾ (هود:٦) .

ومن حَقِّ المولود على أمه أن ترضعه من ثديها ما دامت قادرة على ذلك ، حتى لو كلفها ذلك جهدًا أو مشقة ؛ فإنَّ الرضاع الطبيعي له منافعُ كثيرة جدًّا تحدَّث بها الأطباء ، فهو يساعد على تكوين الطفل جسديًّا وإراحته نفسيًّا وعصبيًّا ، ويجنبه أمراضًا كثيرة قد تحدث له بسبب تناول البدائل من الأغذية الأخرى . ولو استطاعت أن تستمر بالرضاعة إلى حولين فهو الأولى ؛ لقوله تعالى : ﴿ **وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ** ﴾ (البقرة:٢٣٣) .

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب : الأدب ، باب : ما جاء في الختان ، حديث (٥٢٧١) .

(٢) سبق تخريجه صـ ٤٣ .

ولا بأس أن يُفطم الطفل قبل ذلك لحاجة أو ضرورة؛ لأن الله ﷻ خَيَّر الأبوين: ﴿ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾ ، وإتمام الرضاعة له فائدة أخرى وهي تنظيم النسل الطبيعي دون الحاجة إلى وسائل منع الحمل ، فالغالب في النساء أنهن لا يحملن أثناء الرضاع .

ولإتمام الفائدة نذكر بعض فوائد الرضاعة الطبيعية التي عددها لنا الأطباء :

١- فالطفل يرضع لبنًا نظيفًا معقمًا (تعقيم رباني) .

٢- ليس باردًا ولا حارًا .

٣- متوفر في كل الأوقات .

٤- لا يفسد بالتخزين .

٥- يتناسب مع معدة الرضيع .

٦- يقدم للرضيع كل احتياجاته من الغذاء اللازم للنمو .

٧- يعطيه مناعة خاصة ضد الجراثيم ، وخصوصًا السائل الأصفر الذي ينزل من الثدي عقب الولادة قبل إدرار اللبن ، وهو ما يسمى بلبن المسمار أو الثرثوب ، فهو يلين أمعاء الوليد ، ويحتوي على نسبة كبيرة من الأجسام المضادة للميكروبات ، وله قيمة غذائية كبيرة .

٨- الرضاعة الطبيعية تمنع حدوث البدانة في الأطفال والأمهات .

٩- مجاني التكلفة ؛ فهو لا يكلف الأسرة شيئًا من المال .

١٠- والأهم أن الطفل يشرب من ثدي أمه ـ مع اللبن ـ الحب والحنان والأمان والتعلق الشديد بأمه . وعملية الرضاعة عندما تصاحبها النية الحسنة وطلب مرضاة الله ، فإنها تؤتي بثمرتها بإذن الله .

وما أجمل أن تسمعه أمه القرآن أو ذكر الله . . . أثناء الرضاعة أو النوم ، كما أنها تحدثه أحيانًا أو تهدهد له أو تغني له ، فإن أول الحواسِّ عملاً هي حاسة السمع التي يميز بها صوت أمه فيعتاده ويحبه ويطمئن به .

فهي مرحلة مهمة في تكوين الطفل جسميًا وعقليًا وخُلقيًا ونفسيًا ؛ ولذلك إذا امتنعت الأم عن الإرضاع تكاسلاً ، أو طلبًا للراحة ، أو لأنَّ عندها ما يشغلها ، أو خوفًا على شكل جسدها وجمالها ، فهي ترتكب ذنبًا في حقِّ طفلها ، نسأل الله أن يغفر لها .

٦- حق المولود في الحضانة والولاية (الحضانة للأم والولاية للأب) :

من حقوق الطفل الأصلية أن ينشأ مع أبويه ، وقد أكدت الدراسات الحديثة أن الطفل الذي ينشأ بعيدًا عن أبويه يكون بعد السَّنة الأولى أقل نموًّا وإدراكًا ونطقًا وتهذيبًا لغرائزه ، من الطفل الذي تربَّى مع والديه ، حتى وإن كان الثاني أقل تغذية من الأول .

فإن افترق الوالدان بموت أو طلاق أو سفر فالحضانة تكون للأم ما لم تتزوج بآخر ؛ لأنها أقدرُ على تربية الأطفال ؛ لما فُطرت عليه من الحنان والصبر .

وقد روي أن امرأة قالت : يا رسول الله إن ابني هذا كان بطني له وعاء ، وثديي له سقاء ، وحجري له حواء ، وإن أباه طلقني وأراد أن ينزعه مني ، فقال : «**أنتِ أحقُّ به ما لم تَنْكِحِي**»[1].

هذا وللأم المُطَلَّقة حق حضانة ولدها في المدة التي يحتاج إليها الطفل ، ولا يُنزع منها إلا إذا استغنى عنها وأصبح قادرًا على خدمة نفسه بنفسه .

وليس للحضانة مدة معينة على الأصح من أقوال الفقهاء ، ولكن العبرة باستغنائه عن أمه أو من يقوم مقامها كجدته أو خالته .

وإذا اقتضت مصلحة الأم أن تتخلى عن الإرضاع قبل مرور العامين كان لها ذلك بشرط التشاور مع الأب أو من يهمه الأمر : ﴿ **فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ** ﴾ (البقرة:٢٣٣) .

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب : الطلاق ، باب : من أحق بالولد ، حديث (٢٢٧٦) من حديث عبدالله بن عمرو .

أي : إذا سلمت الأم ولدها لأبيه وأعطاها ما تستحقه بالمعروف شرعًا .

و ﴿ تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ ﴾ ، أي : تطلبوا لهم من يرضعهم غير الأمهات ، فلا إثم ولا حرج ما دام ذلك بالمعروف وفي صالح الوالدين والطفل .

وجدير بالذكر أنَّ الأب مسئول عن نفقة الحمل والرضاع والحضانة .

فالدين يسر لا عسر فيه ، وهو عدل في كل أوامره ونواهيه ، فالوالدة تحضن ابنها وترعاه وتخدمه ولا تتخلى عنه ، فهي الحاضنة للطفل ، والأب ينفق عليه وعليها ما دام معها ، فالولاية للأب ولا ينتزع منها للإضرار بها ، ولذلك كان التشاور في أمر الطفل ضروريًا لمصلحته ومصلحة الأبوين ، والصُلح أولى ، والصلح خير .

والولاية في حق الأب تعني القيام بكل ما يتعلق بالطفل من نفقة ورعاية وعلاج وتعليم وتهذيب . وفي حال وفاة الأب فالأصل في الولاية أن تكون لأقرب عاصب حسب ترتيب الميراث : (أب ، ثم جد ، ثم أخ ، ثم عم ، ثم أبناء العمومة ...) إلخ .

* * *

حقوق الطفل قبل وجوده		
حسن اختيار الزوجين والتوافق بينهما	التسمية والدعاء قبل الجماع	الكسب الطيب والرزق الحلال

حقوق الطفل وهو جنين في رحم أمه				
الاستبشار بالحمل	واجبات الأم نحو جنينها	واجبات انزوج نحو زوجته	الاحتفاظ بحق الجنين في الحياة	الاحتفاظ بحق الجنين في الميراث

حقوق الطفل بعد ميلاده	
سنن اليوم الأول	**سنن اليوم السابع**
- البشرى والتهنئة بالمولود .	- التسمية .
- التأذين والإقامة في أذنيه .	- العقيقة .
- الدعاء والشكر لله .	- حلق الرأس والتصدق بوزن الشعر .
- تحنيك فم الطفل .	- الختان للذكور .
	- حقه في الرضاعة الطبيعية .
	- حقه في الحضانة والولاية .

* * *

العلاقات الزوجية وتربية الأولاد
دور كل من الأم والأب في تربية الأولاد

● **تمهيد :**

تحتل الأسرة الدورَ الأهمَّ بين المؤسسات الاجتماعية المسئولة عن تربية الطفل ، والمؤثرة في تكوين الشخصية وخاصة في السَّنوات الأولى من حياته .

ولكي يقوم الأبوان بهذه المهمة العظيمة خيرَ قيامٍ لا بدَّ لهما من معرفة كيفية ممارسة دورهما بشكل سليم ، وهذا يحتاج منهما إلى الإعداد والتدريب ، وذلك من خلال :

١- الاطلاع على كتب تربية الأطفال ورعايتهم .

٢- متابعة آراء خبراء التربية في المجلات أو صفحات شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) ، أو في برامج التلفاز التي تعني بأمور الأسرة .

٣- الالتحاق بالدورات التدريبية المتخصصة .

كل ذلك لنسير في رحلة التربية باطمئنان وثقة وفاعلية ، ولنتجنب معوقات التربية التي تحيط بنا من كل جانب .

وفي هذا الفصل نتعرف على دور كل من الأب والأم في التربية ، وضرورة التعاون الوثيق بينهما للوصول إلى التربية السليمة .

● **دور الأم في التربية :**

أكدَّ العلماء أنَّ الأمَّ هي المسئول الأول عن تنمية ذكاء طفلها ، فلبنُها أولاً يزيد من ذكائه ، وبتدريبها له على مهارات الاعتماد على النفس والاستقلال ، وبابتعادها عن سياسات الحماية المفرطة أو التسلط عليه ، وإعطائه حرية كبيرة لإرضاء فضوله ، وتحديد مسئولياته في حدود إمكانياته النامية ، وتشجيعه على التنافس والنشاط ، كل ذلك يزيد من ذكائه وتطوره الانفعالي .

openkandil.com

والطفل الصغير يتخذ أُمَّه نموذجًا له ، وكثير من العظماء صنعتهم أحضان دافئة ، تفرغت لهم ، ونَمَّت قدراتهم ، وصنعت لهم خيالاً واسعًا من القصص وكثرة الحديث عن أصحاب الهمم من الناس ، فاقتدوا بهم وارتقوا ونجحوا .

وإنّ من حقوق الطفل على أمه أن تتفرغ لتربيته ورعايته ، ولا تتركه للحاضنات والمربيات ، ونعني بالتفرغ أن يكون قيامها على تربية أطفالها على رأس أولوياتها.

وقد أدركت منظمة الصحة العالمية الخطورة التي تهدد أطفال أمهات هذا العصر في الدول التي تعمل بها المرأة فأوصت بتفرغ الأمهات ثلاث سنوات لكل طفل جديد .

والأمومة تعني التضحية ثم التضحية ثم التضحية ، قد تكون التضحية بالوقت ، وقد تكون بالدراسة ، وقد تكون بالعمل ، وقد تكون أحيانًا بالأعمال المنزلية والواجبات الاجتماعية والهوايات ؛ حرصًا منها على تخريج أطفال يتمتعون بأفضل الصفات والخبرات والمهارات .

وهنا نُذكِّر بحديث عن فضل المرأة وأجرها في تربية الطفل ، فقد قال ﷺ : **« إِنَّ المرأةَ في حَمْلِها إلى وَضْعِها إلى فِصالِها من الأجر كالمُتَشَحِّطِ في سبيلِ الله ، وإن هَلَكَتْ فيما بين ذلك فلها أجرُ الشَّهيدِ »**[1] .

ويرى الباحثون أنَّ من المؤثرات المهمة في علاقة الأم بطفلها حصول تماس حسي بينهما ، خصوصًا بعد الولادة مباشرة ، وأثناء الرضاعة التي قد تستمر لسنتين ، فتخاطب الأم الطفل وتغني له وتلامسه بحنان ، وهذا الاتصال الشبه الدائم بينهما يسهم في إقامة علاقة وطيدة بينهما ، خلال كل مراحل عمره ، تكون لها آثار طيبة في نفسه ونموه وتقدم صحته ومقاومته للأمراض .

---

(١) أخرجه عبد بن حميد في مسنده (١/ ٢٥٥) حديث (٨٠١) ، والديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (١/ ٢٠٨) حديث (٧٩٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنه . ومعنى المتشحط في دمه ؛ أي الذي يتخبَّط فيه ويضطرب ويتمرغ فيه ، والمقصود به الشهيد في سبيل الله تعالى .

● **دور الأب في التربية :**

ثبت علميًا أنَّ الطفل يحتاج منذ شهوره الأولى إلى نموذجين مختلفين :

الأول : يتمثل في شخص يرتبط به برباط الحنان والاحتضان ويُدعم فيه الشعور بالراحة والحب .

والثاني : يتمثل في شخص يشعره بالقوة والأمان والسلطة ، وهكذا ينشأ طفلاً سويًا صحيحًا نفسيًا ، فهو يحتاج إلى نموذج للأب كما يحتاج لنموذج الأم تمامًا ، وكما يحتاج الطائر إلى جناحين يطير بهما ، فإذا فقد أحد الجناحين اختل توازنه واضطرب .

فالطفلُ يحتاج إلى والده تمامًا كما يحتاج إلى والدته ، ولكنه احتياج من نوع مختلف ، فلكل من الوالدين دوره ومهامه ، ولا تستطيع الأم أن تملأ مكان الأب عند غيابه ، بل نجد الطفل في غياب أبيه لسفر أو نحوه يبحث عن رجل في المحيطين به من العائلة أو المعارف أو المدرسة ليرتبط به ويضعه مكان نموذج الأب ، فوجودهما معًا تكامل يؤدي إلى التوازن في تكوين شخصية الطفل .

وللأسف الأزواج في بيئاتنا العربية لم يعتادوا ـ في الغالب ـ المشاركة الفعالة في تربية الأولاد ، وقد يرجع ذلك إلى :

١- الثقافة الموروثة من أن التربية والاعتناء بالأولاد هي دور الأم وحدها ، فهذا ما عاشه في تجربته مع أبويه والمحيطين به ، ومن المعروف أن النماذج السلوكية التربوية تنتقل من جيل إلى جيل .

٢- افتقاد الخبرة والتدريب الكافي الذي يؤهله للقيام بالدور الحقيقي للأب في حياة أطفاله منذ ولادتهم .

وهذا يستدعي من العاملين في مجال التربية والدعوة تصحيح المفاهيم وتصويب ما التبس في ثقافتنا بين حق وباطل ، والتعريف بسيرة رسول الله ﷺ في بيته وأهله ، وعمل الصحابة والسَّلف الصالح اقتداءً به ﷺ .

ولعلنا نستفيد مما قامت به العديد من لمؤسسات المجتمعية في أوربا وأمريكا من دورات تدريبية للآباء تعلمهم كيف يكونوا آباء صالحين .

٣- ضيق الوقت الذي يقضيه الأب في البيت بسب سفره أو عمله ، فقد ثبت من خلال الدراسات أنَّ أغلب الآباء لا يشاركون بشكل عملي في تربية الأبناء ، ويلقون بالعبء كله أو معظمه على الأم ، فلا يرى لنفسه دوراً إلا دور الإنفاق المادي ، فهو يكتفي للأسف بدور البنك الممول .

وهذا العُذر يمكن التغلب عليه بالإدارة الجيدة للوقت ، إذا ما توافرت بقية العناصر من إحساس الأب بالمسئولية ، ووجود العلاقة السليمة بين الزوجين ، ووجود الهدف المشترك الواضح ، وترتيب الأولويات بشكل سليم .

● **علاقة الأب بالطفل وتأثيره في نموه :**

يؤثر الأب في تربية الطفل وتطوره بطريقتين :

١- طريقة مباشرة من خلال تفاعله المباشر مع الطفل وتجربته المميزة معه ، فالأب في نظر ابنه مصدرُ الأمنِ والحماية ، فهو المانع القوي والملاذ الآمن والمشجع الأول والأهم في المجتمع ، فهو يعلم كل شيء ويحسن التصرف في جميع المواقف ، فهو يفتخر به ويشعر بالاستقرار إلى جانبه ؛ لأنه يحقق له الخير الكثير .

٢- طريقة غير مباشرة ، وذلك من خلال علاقته بالأم ، فالزوج يمكن أن يوفر للزوجة دعمًا عاطفيًا ؛ مما يؤدي إلى انعكاس ذلك أيضًا على الطفل ، فترتفع معنويات الأم حين تشعر باهتمام زوجها من أول حضور ولادة طفلهما ، وكذلك حين يشاركها في مهام التربية المختلفة .

فما أجمل أن تجد تأييد زوجها في يومها الطويل المرهق ، كأن يأخذه منها ليهدئه ، أو يشارك في إطعامه ، أو يقوم له ليلاً ليطمئن عليه ، أو يبادر بالسؤال عنه وعنها وهو في العمل . . . إلخ .

وهكذا تتقوى العلاقة مع طفله من ناحية ، ويُظهر حبه واهتمامه بالأم مما يطمئنها ويعطيها شعورًا بالمشاركة ودفء العلاقة الأسرية .

كيف تساعدين زوجك على القيام بدوره كأب ؟

١- عليك أن تناقشيه وتتفقا سويًا على أسلوب التربية منذ بداية الحمل ، والأفضل منذ فترة الخطوبة والسنوات الأولى في الزواج ، فلا يصح الاختلاف على أسس التربية فيعاقب الأب وتعترض الأم ، أو تدلل الأم فينشأ وقد اختلطت لديه المفاهيم واختلطت المعايير .

ومن أمثلة ذلك :

- التمهيد النفسي للطفل قبل دخول المدرسة .

- التهيئة النفسية للطفل الأول لاستقبال المولود الجديد خلال مدة الحمل ، بزرع الحب في قلبه بتقديم الهدايا والكلام عنه وإشعاره بمسئوليته عنه .

- وكذلك التعاون في الواجبات المدرسية ؛ وذلك باقتسام المواد الدراسية بينهما كل فيما يتقنه ويحسنه .

- متابعة الأطفال في مدارسهم من خلال الصلة الدائمة بين الأبوين وبين المدرسة ، ومتابعة الأطفال في التمارين الرياضية . . . وهكذا .

٢- تذكري أن التآلف بين الزوجين والحب والاحترام والتقدير بينهما هو الذي سيؤدي إلى التفاهم والاتفاق على تفاصيل الحياة الأسرية .

٣- اظهري لزوجك حسن ظنك به وأثني على ما يفعله ، وحاولي أن تري دومًا وبصدق المزايا دون العيوب ، ولا تكثري من نقده أبدًا ؛ لأن ذلك يفسد العلاقة ، وتذكري هذه المعادلة : الحب + حسن الظن + الثناء = تغيير جزري لمن تحب .

٤- إذا شعر زوجك أنك تتهمينه بالتقصير وعدم الكفاءة في دوره كزوج وأب ، فلن يحب أن يكون موجودًا في المكان الذي يذكره بهذا الشعور .

٥- تجنبي قدر الإمكان الشكوى من متاعبهم ومشاكلهم ، خاصَّة فور وصوله إلى المنزل .

٦- وفري له جوًّا هادئًا ولبي احتياجاته ؛ ليجالس الأبناء وهو مرتاح ، وحدثيه عن حبهم له وسؤالهم عنه طوال النهار ،وأخبريه أنك مقدرة لتعبه طوال فترة العمل .

٧- لا تجعلي الأولاد مادة للشجار بينكما أبدًا .

٨- ساعديه ليحلم بهم ويتخيلهم في الغد وآمالكما فيهم ، وتخطيطكما لمستقبلهم وشخصياتهم ، واحكي له دائمًا عن مواقفهم الطريفة اليومية ، وخذي برأيه في أمورهم .

٩- حاولي أن ترغبيه في قراءة الكتب أو المقالات التربوية بإظهار إعجابك بها واستفادتك منها ، أو على الأقل ناقشيه فيما قرأت ، وإذا سنحت الفرصة لحضور محاضرة أو ندوة عن التربية شجعيه ، فتكون فرصة أن تتثقفا معًا ثقافة تربوية .

من الأخطاء التربوية الشائعة :

- التنافس بين الأبوين على حب الطفل لهما ، فيفقدان حبه لهما معًا ، بل يحرص كل منهما على غرس حب الآخر في قلب طفلهما فيحبهما ويبرهما معًا .

- إفساد الأم العلاقة بين الطفل وأبيه ـ دون قصد ـ وذلك بأن تخوف الأم طفلها بأنها ستقول لأبيه عن خطئه بمجرد مجيئه حتى يعاقبه ، وهذا يجعله يرتبط بأبيه بمشاعر الخوف والنفور وربما الكراهية ؛ ذلك أن العقاب ارتبط لدى الطفل بحضور الأب وليس بسلوكه الخاطئ .

* * *

أثر الخلافات الزوجية على تربية الأولاد

رأى علماءُ النفس أنَّ من أهم العوامل التي تؤثر على التكوين النفسي والعصبي للطفل هو الجو الأسري ، فالطفل الذي ينشأ في ظل حياة زوجية سعيدة مستقرة ، وفي جو من المرح والحب والتفاهم يشعره أنه في بيئة آمنة مستقرة ، يستمتع بأوقات الطعام واللعب والمناسبات الأسرية المختلفة .

وعلى العكس من ذلك ؛ فالجو المشحون بكثير من الخصومات والخلافات والغضب والألم بين الزوجين يجعل الطفل يشعر بالخوف والقلق والاضطراب .

من أبرز آثار الخلافات الزوجية على الأبناء ما يلي :

١- طفل متردِّد ضعيف الشخصيَّة ـ غير موزون نفسيًّا .

٢- إصابة بعض الأبناء بالأمراض كالتبوُّل اللاإرادي أو الخوف من أشياء معيَّنة .

٣- تنمية الميول العُدوانية لدى الأبناء تجاه الآخرين .

٤- فقد الشهيَّة أو تناول الطعام بشراهة .

٥- غرس عقدة ضد الزَّواج وخاصَّة عند البنات .

٦- تأثر المستوى الدِّراسي للأبناء .

٧- تكوين عادات سيئة كالكذب ؛ لتجنُّب خلافات الوالدين .

٨- وضع الأبناء في اختيار صعب بين الوالد والوالدة .

٩- زيادة عصبيَّة الأبناء وتمرُّدهم في المنزل .

١٠- بقاء الأبناء الأكبر سنًّا خارج المنزل لأطول وقت ممكن .

١١- اهتزاز صورة الوالدين في عيون الأبناء ، وضعف الثقة بهما وبكل من في المجتمع .

١٢- خوف الأبناء على مصير حياتهم ؛ فهم دائمًا مهددون بكلمة الطلاق والانفصال .

عندما تحدث الخلافات الزوجية :

لا يخلو بيتٌ من خلافات بين أفراده ، وعلى رأس هذا البيت عموداه : الأب والأم ؛ فهما بشرٌ يصيب ويخطئ ، ولكلٍّ واحد منهما شخصيَّته وثقافته وطباعه ، ومن حقِّ كلِّ واحدٍ أن يعبِّر عن نفسه ؛ ولذلك قد تحدث خلافاتٌ قد تصل إلى حدِّ المشاجرات والمشاحنات والخصومة . ماذا نفعل ؟

الأمر ببساطة أن نتعلم جميعًا فنون إدارة الخلافات .

ما هو التصرف السليم عند خلاف الوالدين ؟

١- السيطرة على الغضب أمام الأبناء ، فليتَّفقا على عدم الجدال أمامهم ، وعلى تأجيل الحديث لوقت لا يوجد فيه الأبناء ، أو داخل الحجرة .

٢- لا بد من تجنب الإهانات تمامًا باللفظ أو بالحركة ؛ فهي تدمِّر مشاعر الشَّخص المُهان ؛ أن يُفعل هذا به أمام أطفاله من ناحية ، ومن ناحية أخرى تدمر مشاعر الاطمئنان عند الطِّفل .

٣- لو علم الأطفال بالخلاف لابدَّ من إفهامهم أنَّ الحبَّ والاحترام هو الأصل في العلاقة ، فالخلاف بين أي شخصين أمرٌ طبيعي ، وأن الاختلاف في الرأي لا يفسد للودِّ قضيَّة .

٤- محاولة إخفاء آثار الخلاف وممارسة الوالدين للحياة كالمعتاد ، فلا يترك أحد الأبوين حجرة النَّوم لينام في حجرة أخرى ، أو أن تبكي الأم ، أو تكلِّم أمَّها أو صديقتها في الهاتف بصوتٍ مسموعٍ ؛ لتشتكي لها ، وهي تتصوَّر أنَّ الطِّفل لا يعي ولا ينتبه .

٥- عدم إطالة فترة الخلاف مهما كانت الأسباب ، ولا شكَّ أنَّ المرونة مطلوبة ، وصاحب المبادرة في حلِّ وعلاج الخلاف ليس الطرف الخاسر بأي حال ، بل

هو صاحب الفضل ؛ لقول رسول الله ﷺ : «**لا يحلُّ لرجلٍ أن يَهْجُرَ أخاه المسلم فوق ثلاثٍ ليالٍ ، يُعْرِضُ هذا ويُعرضُ هذا وخيرُهما مَنْ يبدأُ بالسلام**»[1] .

فالخيرية إذن عند الله لمن يبدأ الصلح .

* * *

(١) متفق عليه : أخرجه البخاري في كتاب «الأدب» باب «الهجرة» حديث (٦٠٧٧) ، ومسلم في كتاب «البر والصلة والآداب» باب «تحريم الهجر فوق ثلاث بغير عذر شرعي» حديث (٢٥٦٠) ، من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه .

obeikandl.com